CULTURE
11 MARCH 2026

الفنان المتألّق ماتيو الخضر: ترقّبوني في إنتاجٍ عالميّ ضخم

غسّان سلامة يعيدُ للثقافة نبضها

وُفي بلادٍ يتقاسمها القلق وتتنازعها الأزمات، تبدو الثقافة غالبًا آخر ما يُلتفت إليه، كشمعةٍ تقاوم الريح وحدها. حمل وصول غسان سلامة إلى وزارة الثقافة اللبنانية شيئًا من ملامح الاستدراك؛ كأنّ الدولة، المنهكة من الخراب، قررت أن تُصغي إلى كتبها، وأن تُعيد ترتيب ذاكرتها قبل أن تتبدّد.

لم يتعامل سلامة مع الوزارة بوصفها إدارةً هامشية تُستدعى للمناسبات، بل رآها خزانًا لجوهر وطنٍ يوشك على فقدان هويته. كانت وزارة الثقافة، قبل عهده، أشبه بأرشيفٍ مرميّ في غياب النسيان. جاء إليها بعين الأكاديمي وخبرة الدبلوماسي، فردّ إليها دورها الطبيعي: أن تكون قلبًا نابضًا في جسد الدولة، لا ملحقًا من الكماليات على هامشها.

أولى سلامة الكتاب عنايةً لافتة، إيمانًا منه بأنّ الأمم تُقاس بصفحاتها لا بجلبتها. دعم معارض الكتب، وسعى إلى إعادة الاعتبار لدور النشر اللبنانية التي عانت اختناقًا اقتصاديًا قاسيًا. ولم يتردّد في حثّ الصغار على محبّة القراءة فقصّ على مسامعهم رواياتٍ مثيرة فيما تحلّقوا حوله بالمكتبة الوطنية بعيونٍ محملقة وآذانٍ صاغية.
ليس حضور سلامة في الفعاليات الثقافية بروتوكوليًا باردًا، بل مشاركةً واعية تُعيد وصل القارئ بالكاتب، وتذكّر بأن بيروت كانت دومًا مدينةً للكلمة الحرّة.

واتجهت الوزارة إلى تنشيط المكتبات العامة وتوسيع حضورها في المناطق، في مسعى لإعادة الكتاب إلى الحياة اليومية للناس، بدلًا من بقائه ترفًا نخبويًا، فتحوّل الفعل الثقافي من احتفالٍ موسمي إلى ممارسةٍ اجتماعية مستدامة، وإن كانت الطريق ما زالت طويلة أمام ترسيخ عادة القراءة في مجتمعٍ أرهقته الأزمات المعيشية.
أما في ملف الآثار والتراث، فبدا واضحًا أنّ الوزير يدرك أنّ لبنان مزيجٌ من الحضارات المتراكمة فحرّك مشاريع ترميم المواقع أثرية، وشدّد على حماية الأملاك التاريخية من الاعتداء والإهمال معتبرًا إياها جزءًا لا يتجزأ من الهوية الوطنية وليس مجرّد حجارةٍ صامتة. كما فتح سلامة قنوات تعاونٍ مع مؤسسات دولية لإبراز الإرث اللبناني في معارض خارجية، في محاولةٍ لوضع التراث المحلي في سياقٍ عالمي، واستعادة صورة لبنان الثقافية عالميًا.
لا شكّ في أنّ سلامة حرّك المياه الراكدة في وزارة الثقافة، وأخرجها من سباتها الإداري إلى حراكٍ ملحوظ فأعاد إلى الوزارة حضورها الرمزي، وأطلق إشاراتٍ واعدة على طريق طويل. لكنه، في النهاية، يقف أمام معادلةٍ دقيقة: كيف تتحوّل الثقافة من مبادراتٍ لامعة إلى سياسةٍ وطنية دائمة؟ وكيف يُستثمر هذا الحراك في بناء إنسانٍ لبناني أكثر وعيًا لأهمية تراثه، وأكثر قدرةً على إنتاج معناه في عالمٍ متحوّل؟
وإذا كان سلامة قد نجح في إيقاظ الثقافة من سباتها، فإنّ التحدّي الأعمق هو في بقائها مستيقظة وتحوّلها من فعل مقاومةٍ إلى مشروع نهوضٍ دائم.

Matteo

ولدتُ بهذا الصوت الذي ميّزني

الفنان المتألّق ماتيو الخضر: ترقّبوني في إنتاجٍ عالميّ ضخم

هو حالةٌ فنيّة متكاملة، كتلةٌ من المواهب وصوتٌ نادرٌ من فئة 'الكاونتر تينور" (Countertenor) له الفضل الأول في إدخال موسيقى "الباروك" إلى الشرق الأوسط.
من توقيعه عقودًا عالمية مع 'يونيفرسال ميوزيك' وهو في ربيعه الثامن عشر، إلى انفجار بيروت المروّع الذي دمّر منزله بالكامل، الى مشاركته في نسخة "ذا فويس' الفرنسية، يأخذنا الخضر بحوارٍ شفاف مع "بيروت كولتور" في رحلةٍ مشوّقة بين غناءٍ ملائكي وتشكيلٍ نابض وأزياءٍ أنيقة كاشفًا نواحٍ من شخصيته تحكي أسرارًا كثيرة عن الصمود ومسيرة إعادة بناء الذات، ومداواة الحزن بالفنّ.

جورج بو عبدو

من هو ماتيو الخضر بتعريفٍ وجيز؟

ولدتُ ببيروت في كنف عائلةٍ مثقّفة كثيرة السفر والاطلاع، بجذورٍ يونانية ولبنانية. كان والداي يحبّان الفن رغم عدم امتهانهما له. كانا يعشقان كلّ ما هو جميل: الفنون، الأثاث، القصر البديع الذي ولدت فيه. ورثتُ هذا التعطّش الدائم للجمال منهما. وحين تكون طفلًا فضوليًا مثلي، محاطًا بالجمال طوال الوقت، يتشبّع ذوقك به في الميادين كافةً؛ سواء في الموسيقى، أو التشكيل، أو الأزياء. ويمدّك الأمر بإحساسٍ رائع.

هل ورثتَ الصوت منهما؟

كانا يحبّان الموسيقى؛ ليس الغربية وحدها، بل الشرقية كذلك. يعشقان الأوبرا وفي الوقت نفسه الروك والبوب والطرب العربي وحتى الأغاني الشعبية الخفيفة/ فكنا في منزلنا نصغي الى كلّ ما هو جميل، وكنت طفلًا أهيم في عالمٍ من الأصوات الرائعة بفضلهما.

كيف عرفتَ أنك موهوب؟

ولدتُ بهذا الصوت الذي عرفتُ لاحقًا أنه يسمّى بالـ"كاونتر تينور" (Countertenor)، وهي فئةٌ صوتيّة نادرة عند الرجال. وقعتُ عقداً مع الـ"يونيفرسال ميوزيك" وغادرتُ إلى باريس في عمر الثامنة عشرة حيث نمّيت موهبتي فتحوّلت مهنةً أعشقها، وأصدرتُ ألبوماتٍ أحضرتها لاحقًا معي إلى بيروت. تعزّزت ثقتي بنفسي في تلك الفترة لأنّني كنت أقدم فنًا متعارفًا عليه عالميًا.

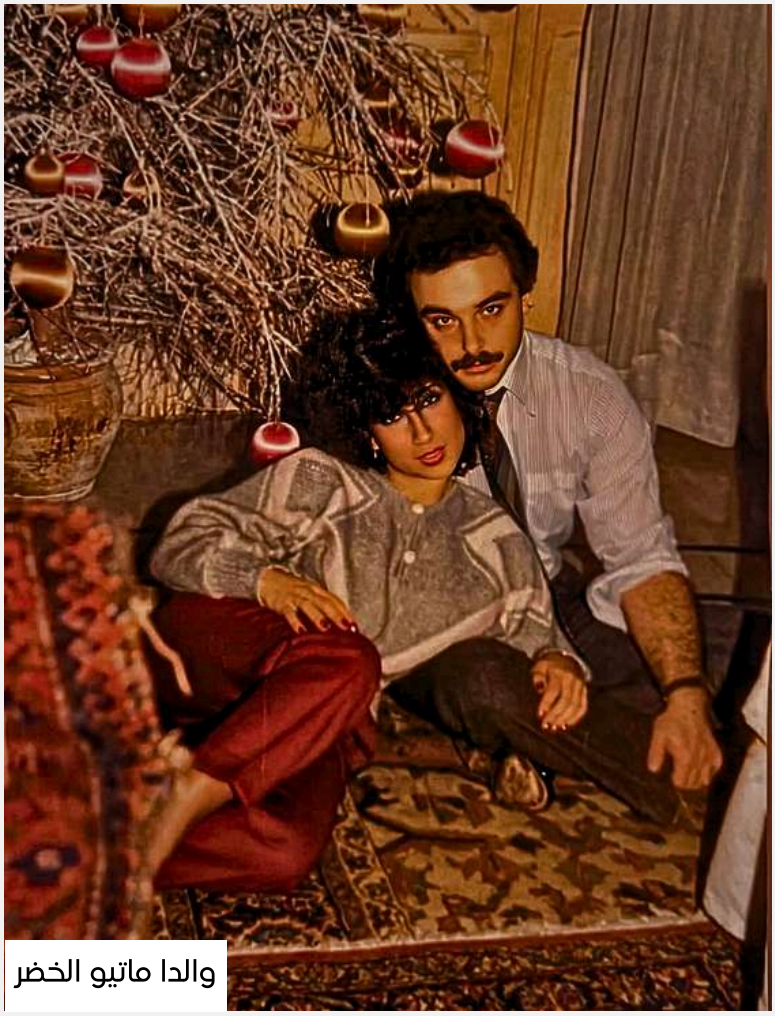

والدا ماتيو الخضر

لماذا فرنسا بالذات؟

أعشقُ لبنان بطبعي، ولكن فرنسا موطنُ الفنون ومنبعها خصوصًا لناحية الموسيقى والكونسرفتوار. لأني أؤدي موسيقى الباروك (Musique Baroque) بصوت الـ"كاونتر تينور"، كان عليّ أن اتخصّص إما في إيطاليا، أو في ألمانيا، أو في باريس. صحيح أنني استقرّيت في باريس حين وقّعت عقدًا مع الـ"يونيفرسال ميوزيك"، لكنّني كنتُ كثير السفر الى مختلف أنحاء أوروبا للمشاركة في ورش عملٍ متقدّمة في ألمانيا، وروما، ونابولي. أوروبا أرض الفرص فيما تنعدم أفق الانطلاق من لبنان نحو العالمية للأسف.

وهل لقيت ألبوماتك نجاحًا؟

أطلقت ألبوماتي في عامَيْ 2006 و2007 في باريس وأحضرتها معي إلى بيروت فأدخلتُ صوت الـ"كاونتر تينور" إلى الشرق الأوسط. دُعيتُ لاحقًا من الشيخة موزا للغناء بدار أوبرا "كتارا" في الدوحة بقطر ؛ وأحدث الموضوع ضجةً كبرى آنذاك.

وكيف شاركتَ في نسخة "ذا فويس" الفرنسية؟

كان ذلك عقب فترة من الأزمات المتلاحقة في لبنان ودخولنا مرحلة الانهيار الاقتصادي الكبير. اتصل بي القيّمون على البرنامج وكانوا قد عبّروا لي في فتراتٍ سابقة عن رغبتهم بتضمين البرنامج مشاركين لبنانيين، وما كنت حينها جاهزًا للمشاركة. لكن موقفي تبدّل بعد انفجار الرابع من آب 2020؛ حين شعرتُ بمسؤوليةٍ كبرى تجاه بلدي المنهار وكنت أنزل يوميًا للتظاهر في الشارع. لم أتردّد في المشاركة لتمثيل بلدي الجريح واستدارت لي الكراسي الأربعة وكانت تجربةً رائعة، لكن سرعان ما اجتاح وباء كورونا العالم بعد مشاركتي بفترةٍ وجيزة؛ فلازمتُ المنزل قسرًا كغيري من الناس وعجزتُ عن السفر.

بعض الفنانين اعتبر انّ وباء كـــورونـــا كـــان فـــرصةً لاعادة تعرّفهم الى ذاتهم.

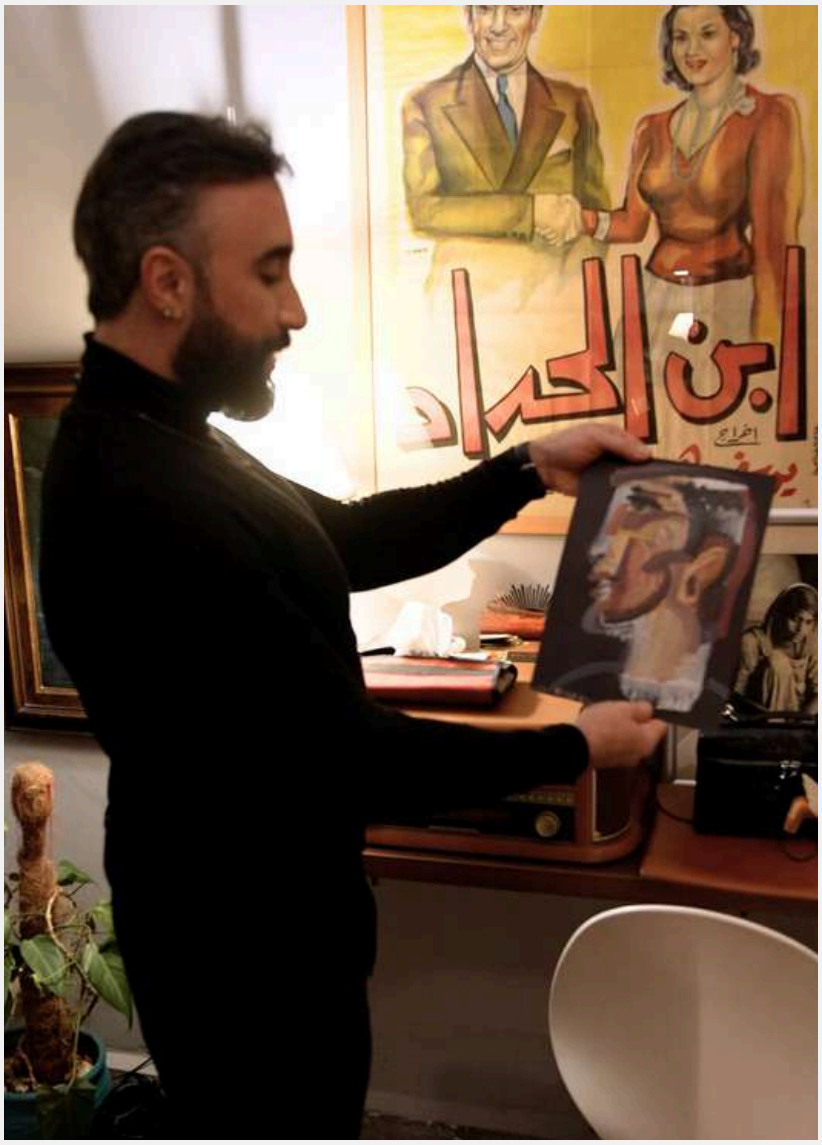

أنا رجلٌ متصالحٌ مع نفسي ولستُ بحاجةٍ الى وباء لأعرف نفسي خصوصًا أنني عشتُ وحدي في ريعان شبابي بباريس حين كنتُ في الثامنة عشرة من عمري.

أحبّ العيش وحيدًا بطبعي ولا أشعرُ بالملل أبدًا لأنني أركّز على عملي وأخطّط لمستقبلي. كنتُ سعيدا في فترة "كورونا" لأنني وجـــدتُ فرصةً للبقاء في المنزل ولتنمية مواهب تركتها في الدرج.

كالفنّ التشكيلي مثلًا؟

تمامًا, فأنا رسّام قبل أن أكون مغنيًا؛ ودرستُ الفنون الجميلة في باريس. وبما أن الغناء في العلن لم يكن متاحًا أثناء "كورونا" أطلقت العنان لموهبة الرسم. كنت كذلك أغني وأعطي دروسًا عبر الإنترنت, لكن لا أمر يضاهي تسجيل فيديو "حيّ" ونشره على إنستغرام.

أيّهما الأقرب الى قلبك الأوبرا أو الرسم؟

إنهما مختلفان تمامًا. الرسمُ فنٌّ فرديّ بامتياز فأنا أجلسُ وحدي لأرسم. أنقذني الرسمُ من حزني الدفين وليس الغناءوحين فقدتُ والدي منذ سنتيْن. صودف أنّ معرضي كان بعد شهريْن فأطلقتُ العنان لمشاعري كعلاجٍ نفسي واختليتُ بنفسي... بكيتُ... ضحكتُ.... استسلمتُ للذكريات... كلّ ذلك وأنا أرسم. أما الأوبرا فلا تمارسه وحدك/ فأنتَ لا تتمرّن وحدك ولا تؤدّي لنفسك بل لجمهورٍ عريض. كما أنّ أمسية الأوبرا قائمةٌ على تفاعلك مع الجمهور. حين أقفُ على المسرح, يمدّني الجمهور بطاقةٍ كبيرة فأبادلهم العرفان بأداءٍ يليق بحماستهم وتشجيعهم.

كيف عشتَ انفجار بيروت ومنزلك على مرمى حجر من المرفأ؟

لحسن حظي أنّي كنت بمنطقة فردان أمارس الرياضة حين وقع الانفجار. تدمّر منزلي بالكامل وتحوّل إلى حطام. كلّ ما تراه حولك الآن إما مُرمّم أو مُستبدَل. كانت فترةً عصيبة تخلّلتها كذلك سرقة مدّخراتنا في المصارف. تبخّرت العقود وضاعت الأموال ولكنني لم أستسلم لليأس لأنني مؤمنٌ بالنهوض مجددًا وإعادة بناء الذات فتلك هي طينة الفنان الحقيقي.

من ينافسك اليوم برأيك؟

لا أحد ينافسني في لوني الغنائي حاليًا لأنني "الكاونتر تينور" الوحيد في البلاد، والوحيد الذي يغني لون "الباروك". لذا لا منافسة على صعيد الأصوات. لكني في منافسةٍ دائمة مع نفسي، فأنا أطمح للوصول الى أفضل نسخةٍ مني. يكمن التحدي الأساسي في لبنان، في عدم تقبّل الناس لموسيقى "الباروك" التي أدخلتها الى المنطقة منذ حوالي 18 سنة فهم يجدونها بالغة الصعوبة وهذا تحدٍ كبير لي. هل أقدم لهم برنامج "باروك" رائع يتراوح بين فيفالدي وهاندل وموتزارت فيما يريدون أغان رومانسية إيطالية معروفة. يا أخي نحن لسنا على متن رحلة بحرية إيطالية! أنا كاونتر تينور! هذا تحدٍ كبير وتلك منافسة كبرى بيني وبين نفسي: هل ألبي رغبتهم بغناء ما يريدون أم أغامر بالتمسّك بالباروك؟ أحاول مجاراة السوق؛ لكن ما يسعدني ويحزنني في آن هو اضطراري للسفر الى الخارج لأغنّي ما أريد، والعودة الى لبنان لأداء ما يرغب به جمهوري.

هوليوود وأزياء

ماذا عن التمثيل ومشاركتك في نسخةٍ هوليوودية معرّبة مثل شيكاغو (Chicago) مع روي ونايلة خوري على خشبة "كازينو لبنان"؟

طاقم "شيكاغو" أجمل فريق عملت معه. مجموعةٌ من المواهب المحترفة في الإنتاج نفسه. وهو فعلًا عملٌ جماعيّ على قدرٍ كبير من الاتقان والاحتراف والتعاون. سنعرض المسرحية مجددًا وهذا سرٌّ أفشيه لـ"بيروت كولتور" ولا يعرف به أحدٌ بعد. شكّلت المسرحية تحديًا كبيرًا وشهدت نجاحًا كبيرًا يفوق التصوّر.

كان دورك فيها جريئًا.

فعلًا. أدّيتُ دور الـ"دراغ كوين" (Drag Queen) لأوّل مرة في حياتي. لستُ من ممارسي هذا الفنّ شخصيًّا لكنّني أقدّره وأحبّه. كنّا مُتحمّسين للغاية وخائفين من النتيجة، لكن الجميع من سياسيّين الى نقّاد وصولًا الى عامّة الشعب أحبّوا العمل.
أحببتُ التمثيل فشاركتُ كذلك في فيلم "خبصة"، ومسلسلَيْ "شتي يا بيروت" و"بيروت 303" حيث قدّمتُ الموسيقى التصويريّة بصوتي. ومثلت في "Escort Boys" في باريس.
بهذا المعنى أنا فنّانٌ متكامل، ولا يمكن حصري بخانةٍ واحدة.

نستشفُّ لديك ميلًا كبيرًا الى الموضة والأزياء، وتجمع أمورًا غريبة...

لديّ أسلوبي الخاصّ في الملبس وأناقةٌ تميّزني عن غيري لذا تجدني ألجأ الى مصمّمين لتطريز ثيابي. وغالبًا ما اعتمدُ على الأوشحة (Capes)، والتيجان في إطلالاتي. ثمة طابعٌ ملكيّ في فنّي ولا أحد ينافسني هنا أيضًا. أقوم بعرض أزياء من حينٍ الى آخر، لكنني لستُ ممشوق القامة بما يكفي لاتخاذ الأمر مهنةً دائمةً لي. أستطيعُ أن أكون سفيرًا لبعض العلامات التجارية.

كيف تحافظُ على صوتك؟

الصوتُ عضلة تدرّبها بالتمارين وأحرص على التجديد دومًا وأتقبّل النقد البناء بصدرٍ رحب فأنا مثلًا أصغي الى عازف الكمان ماريو الراعي حين ينصحني بأن أغنيةً ما لا تصلح لصوتي. أثقُ به لأنّه ضليعٌ بالمهنة ويعمل مع فنانين كبار على غرار ماجدة الرومي وعبير نعمة. لا أجد في الأمر انتقاصًا من قيمتي بل بالعكس ينمّ ذلك عن ذكاءٍ لرغبتي في تطوير نفسي بشتّى السبل.

غناؤك الأوبرا بالعربية من باب التجديد إذًا؟

جمهوري طالبني بذلك. كنت سابقًا أحصر نفسي بموسيقى "الباروك" ولكن حين رجعت إلى لبنان أصغيتُ إلى جمهوري ولبّيتُ رغبته لأنّني مؤمنٌ بالتفاعل الجميل القائم بيني وبينه. تجنّبتُ الاغاني الهابطة فأدّيتُ أغنياتٍ لفيروز مثل "أعطني الناي وغني" ولأسمهان وكانت النتيجة رائعة.

كيف تقرأ ظاهرة الشهرة عبر وسائل التواصل؟

ثمة مواهب جيّدة تستفيد من وسائل التواصل الاجتماعي لاكتساب الشهرة تمامًا كما تزخر هذه الوسائل ببعض الظواهر الشاذّة. وتكون متابعتك لأصناف الفنانين حسب الخوارزمية (Algorithm) التي تسجّل اهتماماتك الخاصة؛ وتفضّل المحتوى على قياس أهوائك، فإن كنت تحبّ المحتوى الرصين وجدته بانتظارك دومًا. اتأنى في اختياراتي شخصيًّا، ومعياري الرقي بعيدًا عن الابتذال، ولكنّي لا أحكم سلبًا على وسائل التواصل فقد عرّفتني على كثيرٍ من الموهوبين كشابٍ لبنانيّ وقعت عليه أخيرًا يحوّل الأغاني العربية إلى نمط الـ"جاز" بأسلوبٍ رائع، وثمة شخصٌ آخر يدعى عمار يحوّل أغاني هيفاء أو نوال الزغبي الى نمط "القوطية" (Gothic)، بطريقةٍ مبتكرة. بالتالي قد تجد العبقريّ والمُبتذل في آن على وسائل التواصل وعليك الاختيار.

ما هو جديدُك حاليًا؟

لديّ كثيرٌ من المشاريع المستقبلية. أنا في تجدّدٍ دائم ولا أراوح مكاني، فذلك بمثابة موتي فنيًا ويدخلني في حالة اكتئاب. انطلق اليوم، بالتعاون مع الإخوة بيرمان، الحائزين على جائزة غرامي العالمية، في إنتاج عالمي دوليّ ضخم يضعني على الساحة الموسيقيّة الدولية. ترقّبوني في هذا العمل قريبًا.

السينمائيّ والمسرحي مارسيل غصن: لا أركضُ وراء الربح التجاري

في عالم الفن قلّةٌ هم مَن يجمعون بين الشغف الأكاديمي العميق والموهبة الفطرية الجامحة. هو مخرجٌ، كاتبٌ، ممثلٌ، وأستاذٌ جامعيّ يحمل في جعبته أربع شهاداتٍ عليا وخبرةً تمزج بين المسرح والسينما. عُرف بجرأته في الطرح، وبقدرته على تحويل الجماد إلى شريك في البطولة، كما فعل في مسرحيته "أرق" (Insomnia) التي تشارك فيها البطولة مع "دبدوب". يغوص في النفس البشرية ليكشف عن خباياها، سواء من خلال "دمية" على المسرح، أو عبر رجلٍ مشلول يراقب خيانة عائلته بصمتٍ في السينما.

"بيروت كولتور" التقت المخرج والممثل مارسيل غصن، فدار حوارٌ مشوّق حول فلسفته الفنية، وعن الخطّ الفاصل بين العملَيْن التجاريّ والثقافي، وواقع الفنّ في لبنان.

جاد حداد

أخبرنا عن "الدبدوب" وكيف اخترته زميلَ خشبة في مسرحية "إنسومنيا" (أرق) التي عرضتها في السنوات الماضية؟

كنت أكتب المسرحية على أساس مشاركة الخشبة مع ممثلٍ آخر؛ ولكنه كان دوام الاعتذار لأسبابٍ مختلفة. عانيتُ من الأمر كثيرًا، فقرّرت اعتماد صيغة "المونودراما" (Monologue). ومن باب المصادفة كنت وصديقي إيلي صايح نزور متجرًا للدمى. فخطرت لي فكرة أداء الدور مع دمية. تجوّلت في المتجر، فرأيتُ دُمى بأحجامٍ وألوان مختلفة. لفت انتباهي "دبدوب" جميل مُلقى في زاويةٍ مُهملة يرتدي قميصًا رُسِم عليه علمٌ أميركيّ. اشتريتُه ونزعتُ عنه العلم ووضعت له نظاراتٍ طبية، واتخذته زميلًا على الخشبة.

ما الذي ميّز الدب عن الممثل الحقيقي؟

جهوزيّته الدائمة للتدريبات في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة فجرًا. فهو لا يتذرّع بتعطّل سيارته او افتقاره الى الملابس، وحين تضربه لا يصيح "آخ"! والأجمل أنه يجبرك على إتقان التمثيل؛ خصوصًا انّ بذل الجهد الأساسي يكون على عاتقك؛ فهو لا يتكلّم ولا يتحرّك؛ وبالتالي تنحصر مسؤولية إنجاح العمل بك شخصيًا، وساهم ذلك في جعل أدائي قويًا.

مسرحياتك معقّدة عمومًا وغالبًا ما تتّسم بالكآبة. هل ذلك جذّابٌ للجمهور؟

غالبا ما أستوحي قصصي من الكتب التي أقرأها أو الأفلام التي أشاهدها وقد أضيف عليها شيئًا من ابتكاري فأمزجُ بين الواقع والخيال. أما الجمهور فلا أصنعه بنفسي فهو يحضر أعمالي بإرادته وليس بتوجيهٍ مني. اعتمدُ نفسي كمقياسٍ لعملي؛ فإن لم يعجبني العمل، أو شعرت بخللٍ ما، أقومُ بتصويبه. بمعنى آخر أنا المشاهدُ الأول لفيلمي ولا أصنع أعمالًا على مقياس الجمهور.

كأنّك بعيدٌ عن المفهوم التجاريّ للأعمال؟

العمل التجاري رهنٌ بالمال والإنتاج. إذا أردتُ إحضار فرقةٍ مِن 50 ممثلًا وراقصًا على مسرحٍ ضخم، ستكون الكلفة باهظة ويكون الهدف الإبهار البصريّ بالألوان والحركة. أما العمل غير التجاري، فيتطلب ممثلًا قويًّا، وقصّةً متماسكة ونصًا عميقًا. وبالتالي يتطلّب الأمر من المشاهد تركيزًا وفهمًا عميقًا لمتابعة العمل وهذا صلب العمل الثقافي وأنا لا أركض وراء الربح التجاري.

حدّثنا عن فيلمك الأخير "صوت آب".

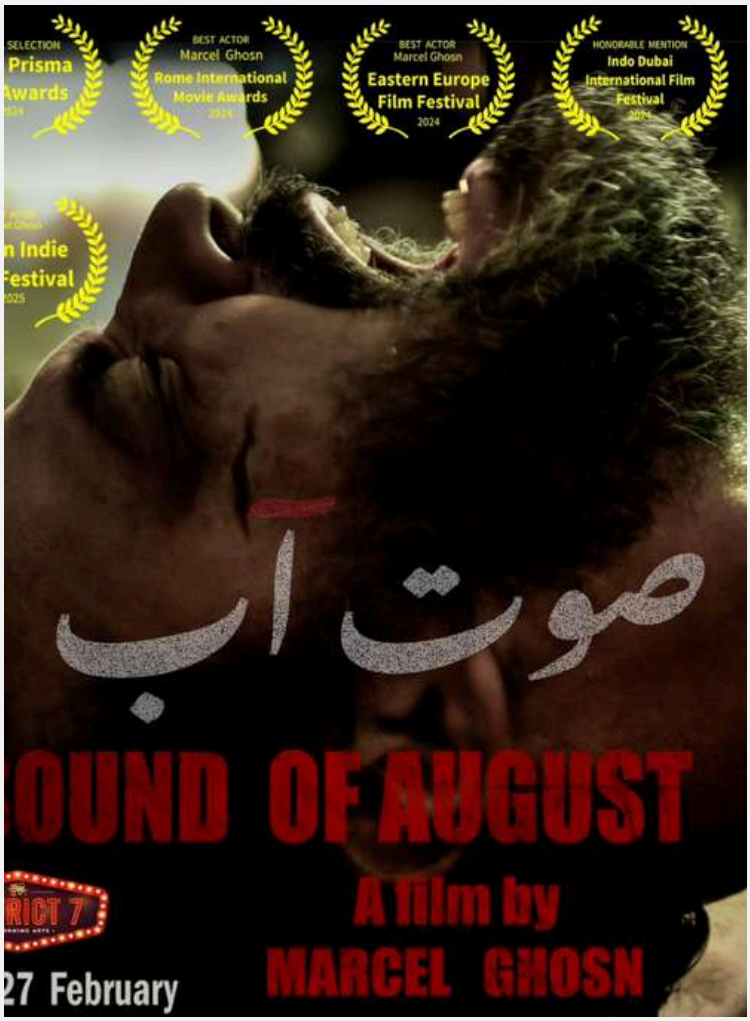

يتناول عملي هذا مشاكل الحياة وهمومها وهو يـحمــل رســـالةً واضحة. البطلُ رجلٌ مشلول كليًّا؛ عالقٌ تحت خزانة بعد انفجار الرابع من آب. يسمع كل شيء ولكنه عاجز عن الحراك. يكتشف، وهو بهذه الحالة، خيانة زوجته "لورا" له مع صديقه المقرّب. يعرف أنّ ابنته على وشك خسارة حياتها اختناقًا في مكان ما على بعد أمتار منه ولكنه لا يريد المغامرة بكشف مكانه وينتهي الأمر بوفاة الابنة فيشعر بأنه متواطئ في قتلها فتتصارعُ مفاهيم الخطيئة والغفران.

هل يهمك أن يتلقّف الجمهور رسالتك؟

حين يسألك الجمهور عن مسرحيتك ان كانت مضحكة مثلًا؛ لا يبحثُ في الحقيقة عن الضحك فحسب، بل يريدُ تجنّب الحزن أو البكاء أو التفكير وهذا خطأٌ كبير. الفنّ هو أن تنظر إلى لوحةٍ مثلًا وتتركها تحرّك فيك المشاعر؛ سواء كانت توترًا؛ أم خوفًا؛ أم انزعاجًا. الفنّ يجعلك تختبر هذه الأحاسيس كلّها لإيصالك الى رسالته.

هل تأثرت بفنانٍ عالمي وأي مدرسة تتبع؟

أنتمي الى مدرسة الواقعية (Realism) كوني أحرص على إظهار الواقع بعدستي في السينما أو على المسرح. وقد أختارُ أحيانًا عالم الخيال (Fantasy) ولكن وفق الموضوع. يمكنني القول إنني تأثّرت بمخرجين كبار عالميًّا، أوّلهم ستانلي كوبريك في التصوير والإخراج. وتأثرت كذلك بفيلم "آلام المسيح" لميل غيبسون وبمدرسة "وودي آلن" في صياغة الحوارات الفضفاضة (Dialogue)، وبكوينتن تارانتينو في تركيب السيناريو.

هل ساعدك التخصّص الاكاديمي بمهنتك؟

طبعًا؛ فقد حصدتُ أربع شهاداتٍ من جامعة القديس يوسف (اليسوعية): إجازة في المسرح، إجازة في السمعي البصري، ماجستير في السينما، ودكتوراه في المسرح والسينما، وكانت أطروحتي عن "السينما الرقمية" والتقنيات الحديثة. يمكنني الجزم هنا بأنّ الجامعة منحتني الأساس، ولكن مدرسة واحدة صنعت مني مخرجًا وكاتبًا وممثلًا في آن، وهي ورشةُ عمل شاركتُ فيها بالعام 2000 مع اختصاصيين أميركيين قصدوا بيروت لتدريس نظام "جيرزي غروتوفسكي"، وهو مخرجٌ مسرحيٌّ بولنديّ معروف لتقنيّته المعقّدة التي تُعزّز قدرات الفنان الإبداعية والتمثيلية. امتدت الورشة لمدّة شهرٍ من الثامنة صباحًا حتى السادسة مساءً يوميًّا؛ وقد تخرّجت منها متزوّدًا بمعرفةٍ كبيرة.

برأيك ما الذي ينقص السينمائي أو المسرحي اللبناني ليحقّق العالمية؟

ينقصه منتجٌ وموزّعٌ عالميّ. شخصٌ يقدّر أعماله ويريد إيصالها الى العالمية، ويحتاجُ كذلك الى شركةٍ ضخمة مثل "وارنر براذرز" تتبنّى مشاريعه وتوزّعها. معظم الإنتاج محدودٌ في لبنان واستدامة المسرحيات شبه مستحيلة.

وقد أقولُ هنا ما قد لا يعجب البعض، وهو أنّ معظم الجمهور يذهب لحضور "الشخص" وليس "العمل"، بمعنى أنه يتابع شخصًا معينًا بغضّ النظر عمّا إذا كان العمل جيدًا أم سيئًا. وهذه ثقافةٌ خاطئة، اذ عليك حضور العمل نفسه وليس الانحياز لشخصٍ معيّن، وثمة عددٌ لا يستهان به مِن المواهب في لبنان ولكنّ سوق العمل يدور حاليًا في فلك مجموعاتٍ معيّنة تحتكر السوق.

اِلقلام... ما بْتِرعا غنَم

قزحيا ساسين

عَيب القصور يكُون ناطُورا قَلَم

والمَحبرَه سَهلِة عشِب تِبْقا

والسَّطر يِحني وتِركَع الوَرقَه

والحِبر دايِه دايرَه تخَلِّف غنَم

الباب

د. ربيعة أبي فاضل

* تُقفلينَ الباب كي لا أرى الأنهارَ تجري في الدّاخل، والأطيار تُنشدُ في حديقتكِ، والأزهار تُعطّرُ الجوّ، والأسرارَ تنمو في أزمنةِ الغياب، وفي سكينةِ الغموض والغربة!

* تُقفلينَ الباب كي لا أقرأَ نصوص عينيكِ، ونغماتِ روحكِ، كي لا أفهم ما تقولُ كلمات الصّمت، وآهات الوحدةِ، وعبارات الغضب... وكي لا أعرفَ أنّ في ظلِّ قامتكِ نبتَ الرّبيعُ، وأبى أن يرحل!

* تُقفلينَ الباب، وتختفينَ في كتاب، في سفَرٍ، وفي ثورةٍ لا تهدأ، كي لا أفهم معنى أنّ العودة إلى الشمس مستحيلة، وأنّ عشقَ امرأةٍ من كوكبٍ آخرَ مستحيلة، وأنّ التّوبة لا تُعطي ثمارها للقلوبِ الباردة!

* تُقفلينَ الباب، وأنا أنتظر كي أُصغي إلى موسيقى القرب، وإلى جمالِ الثّناغم، وإلى ألقِ العبور نحوَ عزلتكِ البهيّة، ورحلتكِ الخفيّة، قساوة لطفكِ، وشراسةِ ما في الدّاخل من أعاصير، وتوقُّعاتٍ لا تَصل، ولا تنتهي!

* تُقفلينَ الباب، وهناك لا أميِّزُ الضَّوء مِنَ العتمة، والشكَّ مِنَ اليقين، والفطنةَ مِنَ البله، لكنّي أعشقُ الانتظار، وصوتَ الخيال، والرّيح الآتية من داخل، ومن وجهٍ لا يقول لكنّه يَحتوي على كلِّ اللُّغات، ولا يُطلّ لكنّه يُشرقُ، وله صباح، وله روح، وله غياب!

«كذبة بيضا» لألكسندر نجار على خشبة "مونو"... المسرح فعلُ مقاومة ضدّ الحرب

سليمى شاهين

في أيّ بلدٍ طبيعيّ قد تبدو زيارة المسرح فعلًا بسيطًا لا تستحق الوقوف عنده. يشذّ لبنان عن القاعدة، ففي لياليه التي تختلط فيها أصواتُ الحياة الآسرة بجلبة الخطر المُحدق يتحوّل هذا الفعل البسيط إلى موقفٍ مدوّ. إنّها ليلةٌ استثنائية: تصعيدٌ أمنيٌّ مروّع، طائراتٌ حربية تصمّ الآذان، وتهديداتٌ متتالية تبثّ الذعر في النفوس. لم يحُل ذلك كلّه دون تقاطر محبّي المسرح بالمئات الى "مونو"، رغمًا عن أنف أسياد الحرب، وكأنّهم ينتزعون مِن براثن هؤلاء قرار التحكّم بروتينهم ومصيرهم.

تعيدُ مسرحية "كذبة بيضا"- وهي من تأليف ألكسندر نجّار وإخراج لينا أبيض بمساعدة مابيل عبدو وسينوغرافيا رالف خوري وإضاءة محمد فرحات- إلى الخشبة إحدى أكثر الصفحات وجعًا في التاريخ اللبناني. تضعُها، لِسخرية القدر، في مواجهة حاضرٍ لا يقلّ قلقًا، وتنقلُنا إلى العام 1975، إلى بدايات الحرب الأهلية تحديدًا.

هي قصة جينو- (مثّل دوره الفنان الشاب أنطوني توما)- الشاب العشريني الواقف عند مفترقٍ مصيريّ بين ندائَيْ الجبهة والدراسة. أيّهما يختار؟ قرارٌ يلخّص مأساة جيلٍ كاملٍ وجد نفسَه فجأةً أمام واقعٍ لا يشبه أحلامه ولا طموحه.

ليست قصة شابٍ واحدٍ، بل هي مشهدٌ كاملٌ لبلدٍ يتفكّك: عائلاتٌ تتفرق، بيوت تتهدّم، وحيواتٌ تتوقّف بانتظار نهايةٍ لا تأتي. تبدو القصةُ مألوفةً إلى حدّ موجع. هي الدوامةُ نفسها التي عاشها اللبنانيون واستوطنت ذاكرتهم الجماعية.

يتميّز العرض بحيويّته اللافتة في الأداء وبإيقاعٍ سريعٍ ينتقل بسلاسةٍ بين ضحكٍ وبكاء. ويتقمّص الممثلون- أنطوني توما، جوزيان بولس، علي بليبل، مايا يمين، جو أبي عاد، جلال الشاعر، غابيل العايلة، علي فرحات، جوانا خلف، جاك مارون - أدوارهم بصدقٍ واضح، فيختبر المشاهدُ توتّرَ الحرب وكأنّه في أحضانها... لحظاتٌ من السخرية السوداء تتجاورُ مع برهاتٍ من الانكسار العميق. ويضفي التنقّل بين الفرنسية واللبنانية في الحوار بعدًا واقعيًا يعكس تنوّع المجتمع اللبناني الثقافي.

لا تكمن قوّة "كذبة بيضا" في استحضار الأمس، بل في تحويله الماضي مرآةً للحاضر، اذ ما زال لبنان اليوم يتخبّط في أزماتٍ سياسيةٍ واقتصادية وأمنية متلاحقة. وفيما يتابع الجمهور قصّة شابٍ ممزّق بين القلم والبندقية، يتبادرُ الى ذهنه سؤال يفرض نفسه بإلحاح: هل تجاوزنا فعلًا تلك المرحلة، أم ما زلنا ندور في دوّامتها؟ وتداخل الواقع الخارجيّ لهدير طائراتٍ حربيّة وجلبة غاراتٍ متتالية مع العرض، فأصبح الفرقُ بين الخشبة والحياة الحقيقية ضئيلًا إلى حدّ مخيف.

ولم يكن التصفيق عند نهاية العرض، مجرّد تحيّةٍ فنّية كما جرت العادة، بل بدا أقرب إلى لحظة تضامنٍ إنساني. تقدّمت مديرة مسرح "مونو" المناضلة جوزيان بولس إلى الخشبة لتخاطب الجمهور. لم تأتِ الكلمات بسهولة. اغرورقت عيناها بالدموع وهي تشكر كلّ مَن غامر بالحضور إلى المسرح رغم وابل الغارات والقذائف. ليست مسألةً بسيطة أن ترى جوزيان بولس، العصاميةُ التي تمتهنُ الفرح، تبكي وتُبكي الجمهور. تدركُ أن مجرّد لقاء الناس في قاعة مسرحٍ في مثل هذه الظروف هو إنجازٌ بحقّ ذاته، مقاومةٌ مِن نوعٍ نبيل، مقارعةٌ بالفكر والقلم والجمال. وهكذا بلحظةٍ مؤثرة حوّلت بولس القاعة كلّها الى حلقة مواساةٍ جماعية، مؤكدةً أنّ المسرح ليس ترفًا عند الأزمات، بل هو فعلُ مقاومةٍ تثبت أنّ الشعوب، مهما عصفت بها حروبٌ وأزمات لا تفقدُ توقها العميق إلى الحياة والجمال.

لم تكن مسرحية "كذبة بيضا" مجرّد استعادةٍ لذكريات الحرب الأهلية، بل كانت تذكيرًا صارخًا، تمامًا كما قالت بولس، بأنّ النسيان أخطر من التذكّر، وبأنّ الشعوب التي تروي قصصها المؤلمة بصدقٍ تملك فرصةً أفضل لتفادي تكرارها.

شكرت بولس الجمهور بحرارةٍ وتأثّر لحضوره لكن الأجدى أن نشكرها نحنُ على مثابرتها ونضالها الثقافي حتى آخر رمق. بالأمس ودّعتنا بولس الى منازلنا كما كانت أمهاتنا ترسلنَا الى النوم بجهدٍ حثيث لإبقاء شعلة الحياة متّقدةً في أعماقنا رغم كلّ المصاعب والأهوال. وتلك شيمةٌ لبنانية. المفارقةُ الوحيدة هي أنّنا لم ننمْ. لم تتركنا الغارات والمقاتلات الحربيّة المغتصبة لفضائنا نُغمض جفنًا. ولكنّ ترياق جوزيان بولس الذي شربناه قبل برهةٍ على خشبة "مونو" كان كفيلًا بإبعاد شبح اليأس والاستسلام. نعم جوزيان سنقاومُ، كما قلتِ، ثقافيًا ومعنويًا، كُرمى للوطن ولأمّهاتنا اللواتي طالما ردّدنَ على مسامعنا بأنّ "الغد سيكون أجمل".... وأمهاتنا دائمًا على حقّ!

«القرنة البيضا»... الوجع بأسلوب يحيى جابر ... وماريا دويهي تكسب الرهان الصعب

سليمى شاهين

ليس من السهل أن ينهض المسرح من مقاعده الخشبية ليهزّ اليقين، ولا أن يغادر المتفرّج الصالة وهو مدركٌ بأن ما شاهده لم يكن عرضًا، بل مواجهةً مع الذات. فَعلَها يحيى جابر مرّةً أخرى. في «القرنة البيضا»، يرفعُ لنا الستار لا عن مسرحيةٍ فحسب، بل عن مساحة اعتراف جماعيّ، يلتقي فيها الضحك بالاختناق، والذاكرة بالجرح، وينتصب المسرح كفعل إيمان وشفاء لا كترفٍ ثقافي.

منذ اللحظة الأولى، يُمسك النص بمشاعر المتلقّي مِن حيث لا يتوقّع. نصٌّ يتسلّل الى الأحشاء، لا لأنّه صادمٌ فحسب، بل لأنّه صادقٌ حتى القسوة. يضحك الجمهور... يدمعُ، ثم يصل الى قناعةٍ راسخة: إنّه بحضور مسرحٍ حقيقيّ لا يخجلُ من إنسانيّته ولا يهادنُ هشاشة الوجود.

يتركنا يحيى دومًا في فضولٍ مفتوح الأفق؛ في تعطّشٍ دائم الى عمله المُقبل. عن أيّ بقعةٍ جغرافية سيستولد نساءه في المستقبل؟ نترقّب أعماله بشغفٍ وكأنّ الضحك هو آخر ما تبقّى لنا كي لا نسقط.

في «القرنة البيضا» يعود يحيى جابر إلى جوهر مشروعه المسرحي: نصٌّ لا يهادن، ولا يُطمئن، ولا يقدّم إجاباتٍ جاهزة. منذ اللحظة الأولى، يتقدّم الكاتبُ بوصفه العقلَ المدبّر للعرض، صانع مساره ومناخه وأسئلته. يفتح الشمال اللبناني لا كخريطة، بل كذاكرةٍ مثقلة بالعنف والإيمان والتناقض، ويقودُ المتفرّج عبر طبقات التاريخ الاجتماعي والدينيّ بكتابةٍ حادّة، ساخرة، ومسؤولة في آن.

نصُّ المسرحية لا يراكم المآسي للتأثير فحسب، بل يُخضعها لقراءةٍ نقدية دقيقة. الثأرُ، جرائم الشرف، الحروب، المجاعة الكبرى، والدين بوصفه إيمانًا وسلطة في آن... كلّها عناصر تتحرّك داخل بناءٍ متماسك. يعرفُ متى يضغط ومتى يترك فسحةً للضحك، ذلك الضحك الذي لا يخفّف الألم بل يكشفه. هنا تتجلّى براعة جابر في السير على الحافة من دون السقوط في الخطابة أو الابتذال.

ويزداد النص ثقلًا حين نعي أن كاتبه، المسلم، يكتبُ عن التجربة المسيحية المارونية بجرأةٍ معرفية لافتة. لا يقترب منها مِن خارجها، بل ينفذُ إلى تناقضاتها وأسئلتها العميقة، مستدعيًا جبران خليل جبران لا بوصفه رمزًا جامدًا، بل كصوتٍ يُعاد اختباره في واقعٍ لبناني متصدّع. لا يحاكم جابر الإيمان، بل ما نفعله به.

يضعُ النصّ الكثيف، المعقّد، والمشحون أيّ ممثلة أمام امتحانٍ حقيقي. تدخل ماريا دويهي إلى الخشبة وهي تدركُ، بلا شك، أن الرهان ليس سهلًا. فجمهورُ يحيى جابر اعتاد لسنواتٍ طويلة حضور أنجو ريحان، الاسم الذي ارتبط بمسرحه وترك أثرًا عميقًا في ذاكرة المتلقّي. والمقارنة، في مثل هذه الحالات، ليست احتمالًا بل قدرًا لا مفرّ منه.

عرفت دويهي كيف تكسب هذا الرهان بهدوءٍ وذكاء. لم تحاول كسر الصورة السابقة ولا تقليدها، بل اختارت طريقها الخاص. راهنت على النص، على الإصغاء العميق له، وعلى بناء شخصياتها من الداخل. ومع تقدّم العرض، ينسحب شبح المقارنة تدريجًا، لا لأن الذاكرة تُمحى، بل لأنّ الحضور الجديد يفرض شرعيّته الخاصة. لم يكن إعجاب الجمهور مجاملةً، بل ثمرة أداءٍ متوازن، صادقٍ، ومحسوب.

بلهجة الشمال الدقيقة، أدّت دويهي شخصيات نسائيّة كتبها يحيى جابر بصرامةٍ وحنان. لم تُفرِط في الانفعال... لم تُبرّد الألم، بل حافظت على تلك المسافة الضرورية بين التمثيل والاعتراف. وفي المقاطع الغنائية، جاء صوتها مكمّلًا للمعنى، لا زينةً إضافية، فبقي العرض متماسكًا ومخلصًا لرؤيته.

«القرنة البيضا» عملٌ يُثبت مرة جديدة أن المسرح فعلُ كتابة قبل أن يكون فعل أداء. يضع جابر النص في الصدارة، يصيغه نصًا جريئًا، نقديًا، ومشحونًا بالأسئلة. وتنجح دويهي في حمله إلى الخشبة، وفي كسب جمهور يعرف جيدًا كيف يقارن ولا يصفّق إلا حين يقتنع.
هي إذًا شراكةٌ واعية بين كاتبٍ يعرف ثقل ما يكتب، وممثلةٍ تعرف صعوبة ما تؤدّي.
وفي هذا التوازن، يولدُ مسرح يُشاهَد ويُفكَّر فيه طويلًا بعد انطفاء الضوء.

«أسافر وحدي ملكًا» لأسامة الرحباني وهبة طوجي...
تكريم منصور الرحباني بموسيقى خالدة

منال غصن

لم تكن المدينة في تلك الليلة مجرّد مكان، بل كائنًا مبتلًّا بالانتظار. المطر كان ينهمر كأنه صلاةٌ غير منطوقة، يغسل الحجر والذاكرة معًا، ويقودنا إلى كنيسة الإخوة المريميين في الجميزة، حيث الضوء لا يسطع بل يهمس، وحيث الشموع لا تضيء بقدر ما تعلّق المعنى بين الأرض والعلوّ.

في الداخل، كان الصمتُ مخدّرًا شفيفًا، يشبه حالة ما قبل الانخطاف. الأوركسترا لا تعزف لتملأ الفراغ، بل لتفتحه. الصوت يتخفّف من ثقله، يصعد، يدور، ثم يختفي في فضاء العاصفة، محمّلًا بشِعر منصور الرحباني وموسيقى أسامة، كأن الاثنين مادة واحدة لا يمكن فصلها. هنا لا تفاضل بين كلمة ونغمة؛ كلاهما يوقّع على مذبح السمع، وكلاهما يقود الرحلة.

لسنا في الأعالي، ولسنا في يقين لاهوتي. لا جنّة، ولا تعريف جاهز للإله. نحن في منطقةٍ رمادية، أقرب إلى حلم يقظة طويل، حيث يعود صوت جاد إلياس الرحباني كطيفٍ بعيد، لا ليحنّ، بل ليذكّر بأن هذا البيت الموسيقي لا يزال يتنفس من عمق جذوره. فالشِعر والموسيقى عند الرحابنة ليسا خيارين، بل شرط وجود. لا يكون الرحباني رحبانيًا إن لم يكتب كما يعزف، وإن لم يُسمِع اللغة ويُنطق الصوت.

في النهاية، لا يبقى إلا الاعتراف. لقد دوّنتَ، يا أسامة، في سجل الموسيقى ما يصدّقه شِعر منصور. وأسافر وحدي ملكًا لم تكن عملًا يُسمع، بل مقامًا يُسكن.
حملته في نشيدك كسرّ أبويّ، وتركته علامة تهتدي بها المدينة في لياليها الوحيدة، وفي وعودها المؤجَّلة مع العاصفة.

شِعر منصور هنا ليس نصًا يُلقى، بل جرحًا مفتوحًا للمدينة، يدور في أفلاك النفس، يولد من مخاض لا يعرف الاكتمال. يلتقط أسامة هذا التشظّي، ويقيم له في الموسيقى مأوى مؤقتًا: خيمة من نغم في صحراء الذاكرة، تصمد وسط جنون الريح وضجيج التاريخ.

ثم يأتي صوت هبة طوجي، لا كزينة للمشهد، بل كضرورة. صوتها جائع لمعنى راقٍ، يشتعل حين يداهمه اللحن، ويتحرّر داخل تمرّد منضبط تقوده يد المايسترو. لحظة إنسانية كادت أن تضيع، تُنتشل من الرماد، وتُحمَل على برقٍ عابر إلى خريطة بلا أسماء، إلى نافذة تطلّ على سرّ لا يُقال، بل يُحسّ.

جوقة اللويزة، بقيادة خليل رحمة، تعمل بصمت صارم، كحارسٍ يقظ على تخوم الخطأ. الكلمة تُحمَل من حنجرة إلى أفق، تبحث عن لغة مشتركة، وحين تستقرّ في مملكة اللسان، تخرج من غموض الصوت إلى وضوح الصورة، من الذبذبة إلى المعنى.

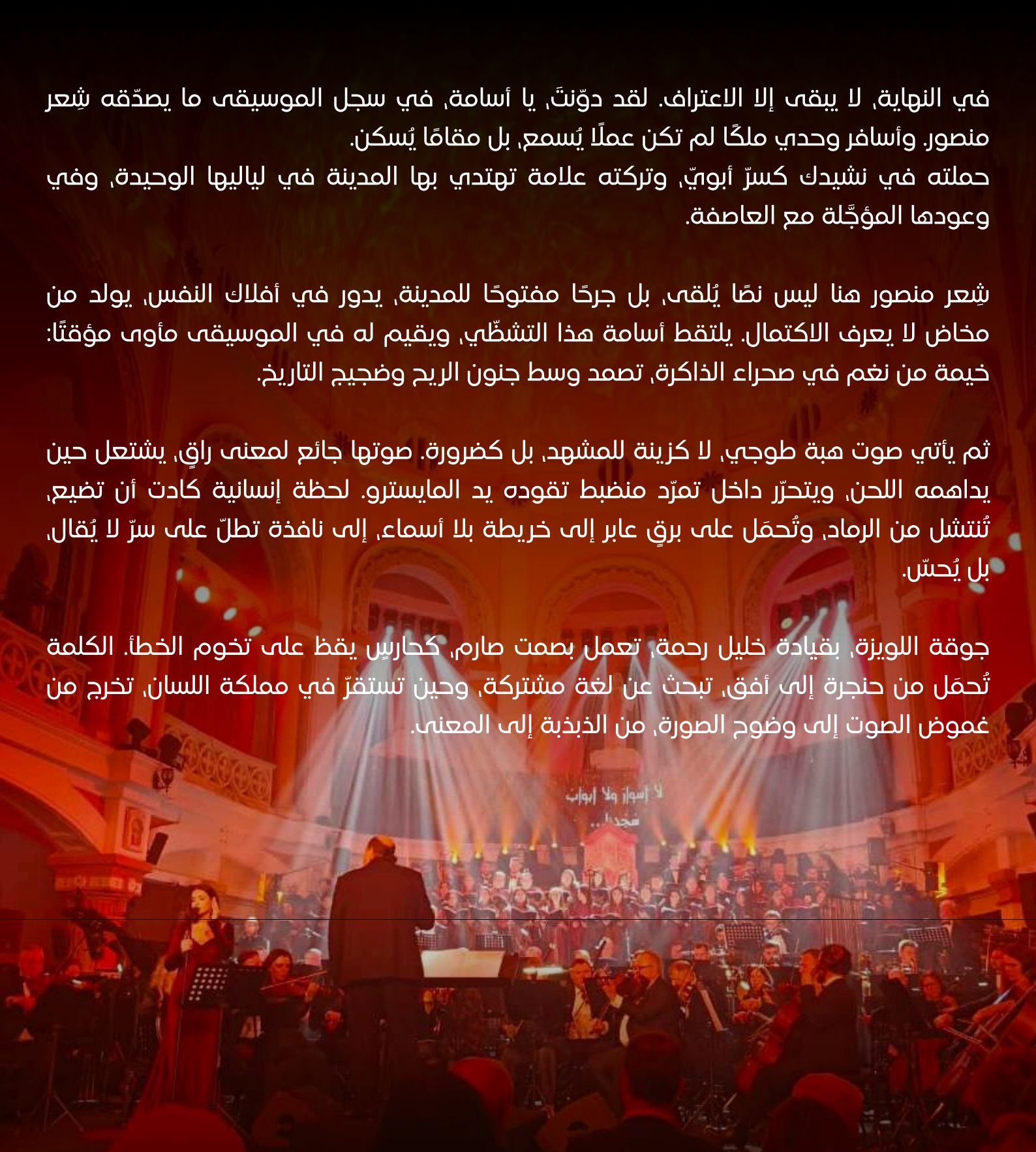

وبين سماع وسماع، ينفتح زمن آخر، يسمح لك أن تراقب المسافة بين العين والأذن، بين الرغبة والدهشة.
هنا يبرز عزف عيّاد أنطوان خليفة على البيانو، وساري أنطوان خليفة على التشيلّو، حضوران لبنانيان داخل جسد أوركسترا أوكرانية، اختارهما أسامة بدقّة العارف. أمام عزفهما، تتجمّد في منطقة وسطى: لا تصفيق داخلي ولا حياد كامل. العقل يطالب بضبط الانفعال، والقلب يتمرّد ويسأل: كيف يُقاوَم هذا السحر؟

«العرض الكبير» لـطوني مخّول على إيقاع الصواريخ
مواجهة الحروب بالفنّ

سليم عساف

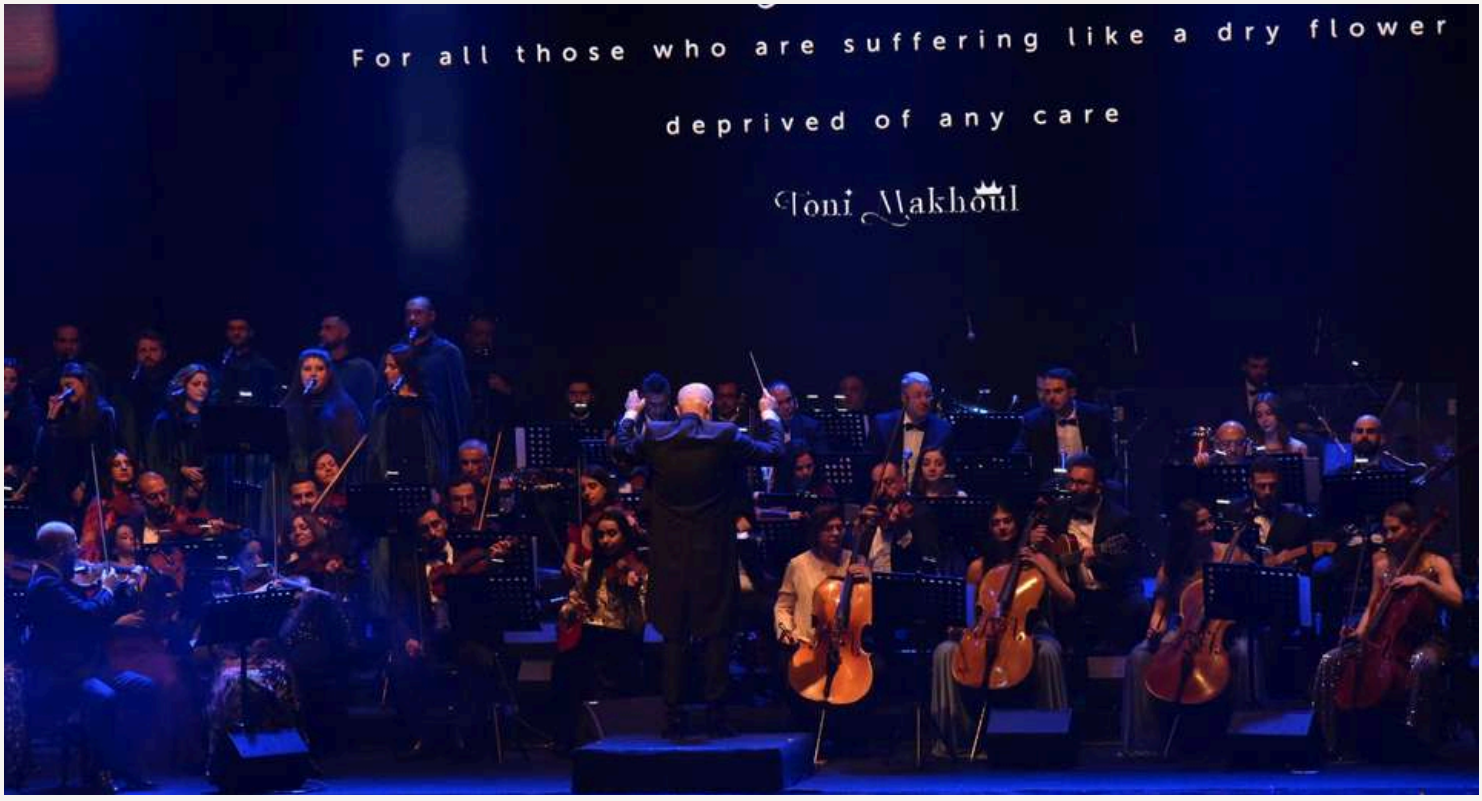

في ليلةٍ لم تكن تشبه أمسيات الترف، كانت المنطقة تشتعل بنيران الصواريخ فيما الأنوار تشعّ في كازينو لبنان. هناك، على الخشبة المذهّبة، قدّم طوني مخول «العرض الكبير»، فيما الأخبار تتقاطر عن اغتيال علي خامنئي وسقوط أربعين قائدًا إيرانيًا في مشهدٍ يختصر انفجار الحرب العالمية الثالثة. كان التاريخ يُكتب بالصواريخ، بينما تكتب الموسيقى مشهديةً اعتراضية بين سطرين من الدم.

امتلأت الصالة بحشودٍ توافدت لا لتحتفل، بل كأنّها تفاوض الخوف. تصفيقٌ كثيف، ووجوهٌ مشدودة، كأنّ الحاضرين يعقدون هدنة شخصية مع الكارثة. هل كان الحفل تمرينًا على الصمود رغم المحيط المتهاوي كحجارة الدومينو؟ أم كان إعلانًا مضادًا بأنّ الفنّ لا يموت حتى لو تدحرجت رؤوس كبيرة؟ في تلك المفارقة تحديدًا، وُلد المعنى النقدي للأمسية: تزامنٌ فاقع بين موسيقى تُبشّر بالحياة، وخرائط تتشظّى فوق طاولات السياسة.

أكثر من مائة فنان، بين عازفٍ وراقص، اصطفّوا كأنهم جيشٌ من نوعٍ آخر؛ جيشٌ لا يحمل إلا الإيقاع. العناية بالتفاصيل بدت محاولةً لإتقان الجمال في زمن الفوضى. الأوركسترا الكبيرة عزفت مقطوعاتٍ تتقدّمها عناوين مضيئة على الشاشة، فيما الكوريغرافيا تتشابك مع المؤثرات البصرية في مسعى لخلق عالمٍ موازٍ، أقلّ قسوة من نشرات الأخبار.

استُهلّت الأمسية بتحية للبنان الجريح، وللجيش اللبناني، في خطابٍ وطنيٍّ بدا أقرب إلى تميمةٍ ضدّ العاصفة.

غنّى نادر خوري «شو بحبك يا وطني»، ورُفعت النبرة إلى سقفٍ عاطفيٍّ عالٍ، كأن البلاد تحتاج جرعةً مضاعفة من الغناء كي لا تسقط في هوّة اليأس. تنوّع الرقصُ بين الباليه والفالس والسالسا وحتى الرقص بالشرائط. تنوّعٌ محسوب كي لا يملّ المتفرّج، لكنّ كثافته بدت أحيانًا كأنّها تحاول إغراق الحزن بالفرح. وكأنّ مخول يدرك أن الإيقاع إذا تسارع بما يكفي، قد لا نسمع ارتطام الواقع.

في فقرة «الأساطير التي لا تموت»، مرّت صور أينشتاين وبيتهوفن وستيف جوبس وماريا كالاس وماري كوري وسلفادور دالي وهيتشكوك ووالت ديزني وأنطونيو غاودي وشوبان. احتفاءٌ بعباقرةٍ غيّروا العالم، فيما العالم يتغيّر الآن على نحوٍ أكثر وحشية. المفارقة موجعة: التاريخ يُنتج رموزه بالإبداع، والسياسة تُنتج رموزها بالاغتيال.

أما «الأزهار المتيبسة»، فكانت رسالةً إلى ضحايا الحروب وجياع الأرض. لقطاتٌ لأطفالٍ أنهكتهم المجاعة، ووجوهٍ مطفأة تحت سماءٍ بلا عدل. هنا، اقترب العرض من حافة الحقيقة: الفنّ لا يملك أن يوقف رصاصة، لكنه يستطيع أن يشير إلى جرحها.

العرض مقسَّمٌ إلى معزوفاتٍ تحمل رسائل، تصاحبها عروضٌ من تصميم الراقصين المشاركين ساندرا عباس وأسادور هرجيان.
ويُحسب لطوني مخول ولعه بالتفاصيل الدقيقة؛ يلتقط الجزئيّ الهارب كما يلتقط الرسّام خيط الضوء على حافة الظل. أما ساندرا عباس، فقد أحكمت هندسة الرقص إحكامًا جعل البهجة نظامًا لا فوضى فيه؛ ألوانٌ زاهية تتعانق بلا صخب، وحركاتٌ مصقولة لا يعتريها ترهّل، حتى لتظنّ العين أنها تشرب الضوء شربًا ولا ترتوي.

وحين اعتلى المسرح الفنان الإسباني خوسيه دي نافيغا، حاملاً أغنيته الفرنسية «وحيد من دونك»، انفتحت نافذة رومانسية على مساءٍ مثقلٍ بالعواطف.

ومن أميركا اللاتينية أدّت بولينا أغنية «الحب الفريد»، فسكبت دفئًا استوائيًا في قلب القاعة. ثم انطلقت «رقص للذكرى»، فإذا بالمسرح كلّه يتمايل، لا الراقصون وحدهم؛ الخلفيات تتحوّل إلى طائرةٍ في السماء، تتهادى كما لو أن الهواء نفسه يرقص، والمضيفون والركّاب يشاركونها الخفّة. لحظةٌ تذوب فيها الحدود بين المشهد والخيال، ويصير التمايل لغةً جامعة بين الأرض والفضاء.

نحو عشرين مقطوعة قادت الجمهور في «رحلة سفر» بين كوبا والبرازيل وأوروبا. سالسا، ألوان لاتينية، زخّات مطرٍ افتراضية على الشاشة في «رجاء ابقَ». كانت الشاشة تمطر بينما السماء السياسية تمطر نارًا. ذلك التوازي الحادّ بين مطرٍ جماليٍّ ومطرٍ ناريٍّ منح الأمسية توتّرها الحقيقي.

في الختام، جاءت «سوا سوا» دعوةً جماعية إلى الغناء. الجميع على الخشبة، كأنهم يقولون إن الخلاص في الاجتماع، لا في التفرّق. لكن الخارج كان يقول شيئًا آخر: إن الاجتماع نفسه صار هشّاً أمام خرائط الدم.

«العرض الكبير» كان محاولةً نبيلة لتكريس الجمال، غير أنّ تزامنه مع ليلة اغتيالٍ مفصلية في تاريخ المنطقة جعله أكثر من مجرّد أمسية موسيقية. لقد صار مرآةً لمفارقةٍ دامية: نحن نرقص على حافة الهاوية، ونصفّق كي لا نسمع صوت السقوط.

فنّ صخري عمره 68 ألف عام يتقدّم على آثار "النياندرتال" في أوروبا

في أعماق الزمن السحيق، ينهض هذا الفنّ الصخري العائد إلى نحو 68 ألف عام شاهدًا على بدايات الإبداع الإنساني، بعدما تجاوز رسميًا أقدم السجلات الأوروبية المنسوبة إلى إنسان النياندرتال، ليُتوَّج بوصفه أقدم فنّ صخري معروف في العالم.

فقد كشف علماء الآثار في جزيرة سولاويسي الإندونيسية عن مجموعة من مواقع الفنّ الصخري التي تقف اليوم على تخوم إعادة كتابة تاريخ الفن والخيال البشري. هذه الأعمال المتقنة، التي نُقشت قبل ما يقارب 68 ألف سنة، لم تعد مجرد آثار صامتة، بل صارت علامات فارقة في مسار الوعي الإنساني الأول.

ويأتي هذا الاكتشاف ليفنّد تصوراتٍ ترسّخت طويلًا حول الجغرافيا الأولى للتعبير الفني، إذ يؤكد أن الإنسان في جنوب شرق آسيا كان يصوغ حكاياته البصرية ويرسم رموزه قبل آلاف السنين من ظهور شواهد مماثلة في أوروبا. كما يكشف قِدم هذه الأعمال أن التفكير الرمزي والقدرة على السرد لم يكونا طارئين في تاريخ البشر، بل جذورًا ضاربة في عمق تطورهم. وتتجلّى أهمية سولاويسي بصورةٍ أوضح حين نعلم أن هذه الرسوم تسبق بنحو 1,100 عام قوالب الأيدي الشهيرة المنسوبة إلى النياندرتال في إسبانيا. وبالاستناد إلى تقنيات تأريخ دقيقة للرواسب المعدنية التي غطّت الأصباغ، استطاع الباحثون فتح نافذة زمنية أكثر وضوحًا على فجر العقل الإنساني. وهكذا يتقدّم اسم إندونيسيا إلى قلب السردية العالمية لهجرة الإنسان وتكوينه الثقافي، فيما تمنحنا هذه الروائع الحجرية صلةً نادرة ومباشرة بعقول أسلافنا الأوائل، وباللحظة الأولى التي وُلد فيها الفن بوصفه لغة الإنسان الخالدة.

ثورة الطاقة اللاسلكية...
فنلندا تنقل الكهرباء عبر الهواء بالصوت

نجح علماء في نقل الكهرباء عبر الهواء باستخدام الموجات فوق الصوتية وأشعة الليزر، في إنجازٍ علمي يفتح آفاقًا جديدة لمستقبل الطاقة.

تتبوأ فنلندا موقع الصدارة في ثورة الطاقة اللاسلكية، حيث يقود باحثون من جامعتي هلسنكي وأولو جهودًا رائدة لتطوير طرق لنقل الكهرباء من دون الحاجة إلى كابلات مادية.

ومن أكثر التطورات إثارة، استخدام موجات صوتية عالية لتشكيل مساراتٍ غير مرئية في الهواء، تعمل كقنوات موجِّهة للشرارات الكهربائية على امتداد مسار مُتحكَّم به بدقة.

ورغم أن هذه التقنية، المعروفة باسم «السلك الصوتي»، لا تزال في طور التجارب، فإنها قد تُمكِّن مستقبلًا من إنشاء وصلاتٍ كهربائية بلا تلامس وواجهات ذكية تعمل بالكامل من دون مقابس أو تمديدات تقليدية.

ولا يقتصر الابتكار الفنلندي على توجيه الطاقة بالصوت فحسب، بل يشمل أيضًا توظيف الضوء وترددات الراديو لمواجهة تحديات معقّدة في مجال الطاقة. إذ يعمل القطاع الخاص على تطوير أنظمة «الطاقة عبر الضوء» التي تستخدم أشعة ليزر عالية القدرة لنقل الكهرباء إلى مستقبلات بعيدة، موفّرة عزلًا كهربائيًا حاسمًا للبيئات الخطرة مثل المحطات النووية ومنشآت الجهد العالي. وبالتوازي، تحوّل التطورات في حصاد طاقة الترددات الراديوية الموجات المحيطة إلى ما يشبه «واي فاي للطاقة»، ما قد يُنهي الحاجة إلى ملايين البطاريات ذات الاستعمال الواحد في مستشعرات إنترنت الأشياء منخفضة الاستهلاك. مجتمعةً، تُشير هذه التقنيات إلى انتقالٍ وشيك نحو بنية تحتية أكثر مرونة وخالية من الكابلات للصناعة العالمية.

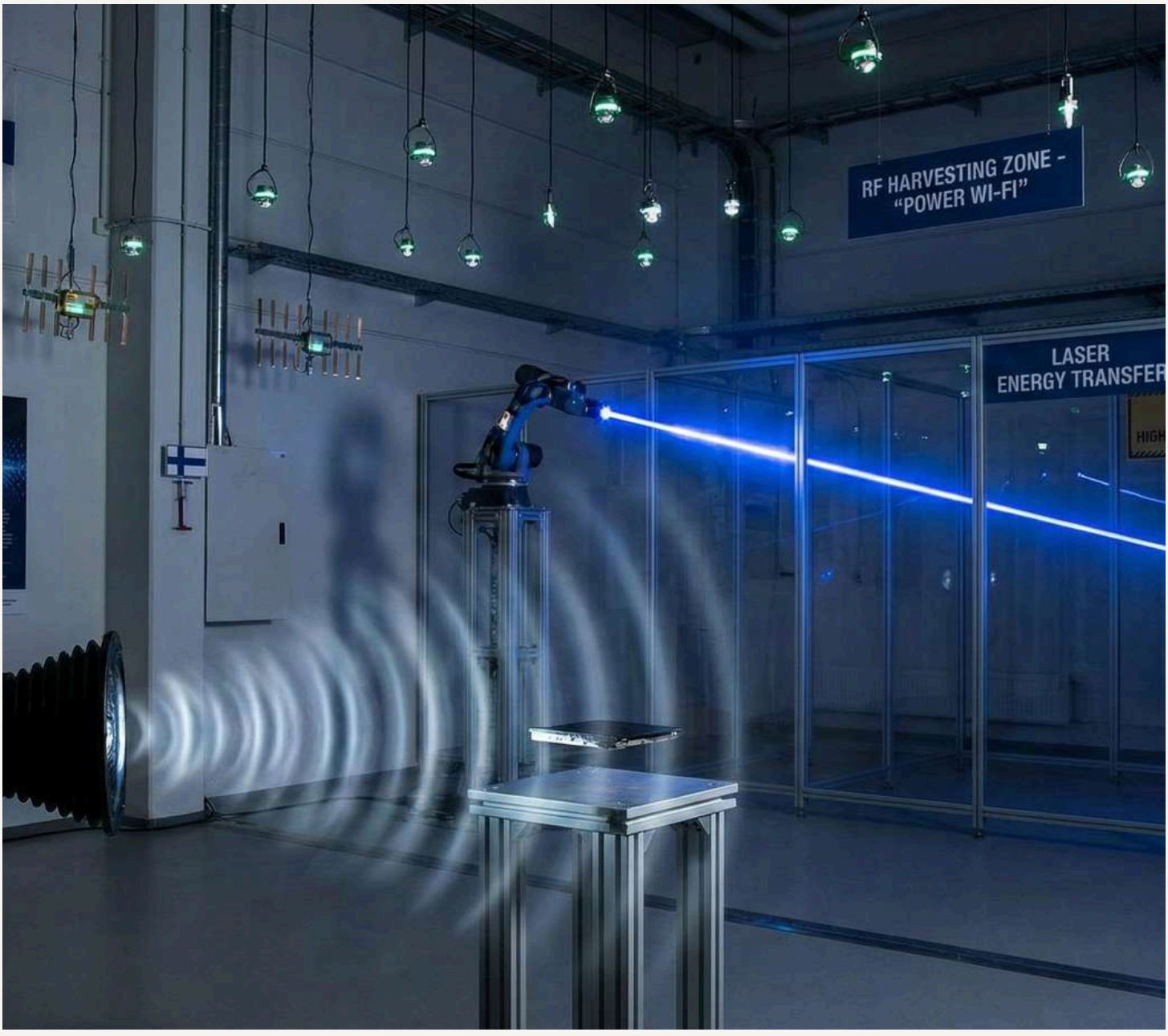

40٪ من السرطانات ممكن تفاديها بتغيير نمط الحياة

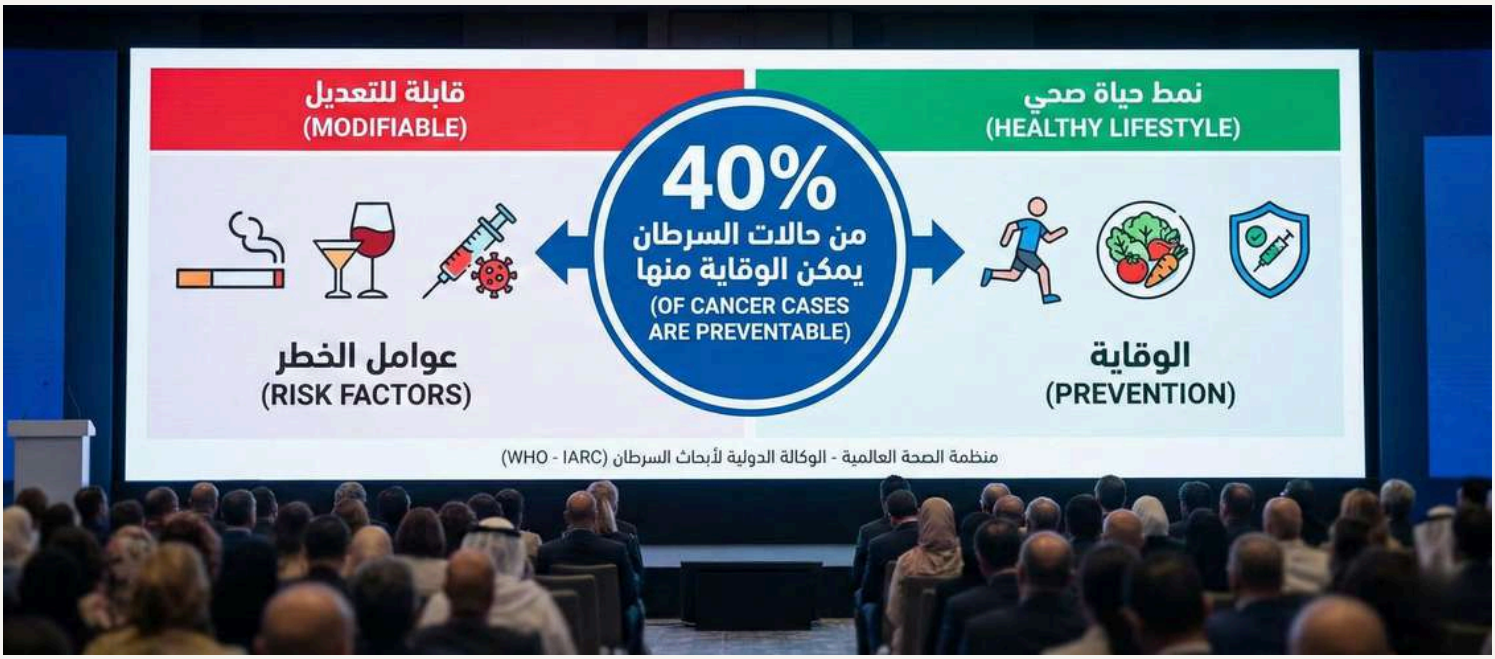

تُظهر الأبحاث أن نحو 40٪ من حالات السرطان حول العالم يمكن الوقاية منها عبر تغييرات بسيطة في نمط الحياة. فقد كشفت دراسة محورية شملت ما يقارب 200 دولة أن نحو سبعة ملايين تشخيص إصابة بالسرطان سنويًا — أي ما يقارب 40٪ من إجمالي الحالات الجديدة — ترتبط بعوامل خطورة قابلة للتعديل.

وتبيّن هذه الدراسة الشاملة أن الكثير من حالات السرطان ليس قدرًا محتومًا، بل ينجم عن سلوكيات وتعرّضات يمكن تغييرها أو السيطرة عليها. ولا يزال تدخين التبغ العامل الأبرز في العبء العالمي للسرطان، يليه مباشرةً التعرّض لعدوى يمكن الوقاية منها، ثم استهلاك الكحول.

وتؤكد النتائج وجود فرصة هائلة للتدخل في مجال الصحة العامة، إلى جانب إحداث تعديلات شخصية في نمط العيش، بما قد يعيد رسم ملامح مستقبل الصحة العالمية.

ويشدد خبراء الوكالة الدولية لأبحاث السرطان التابعة لمنظمة الصحة العالمية على أن التصدّي لهذه المخاطر القابلة للتحكّم يُعد من أكثر الاستراتيجيات فاعلية للحدّ من معدّلات السرطان عالميًا. فمن خلال إعطاء الأولوية للإقلاع عن التدخين، والتطعيم ضد العدوى المسببة للسرطان، والاعتدال في استهلاك الكحول، يمكن حماية ملايين الأرواح سنويًا من تشخيص الإصابة بالسرطان.

اختلالٌ مقلق لتوازن الأرض:
نصف الكرة الشمالي يبتلعُ طاقة الشمس

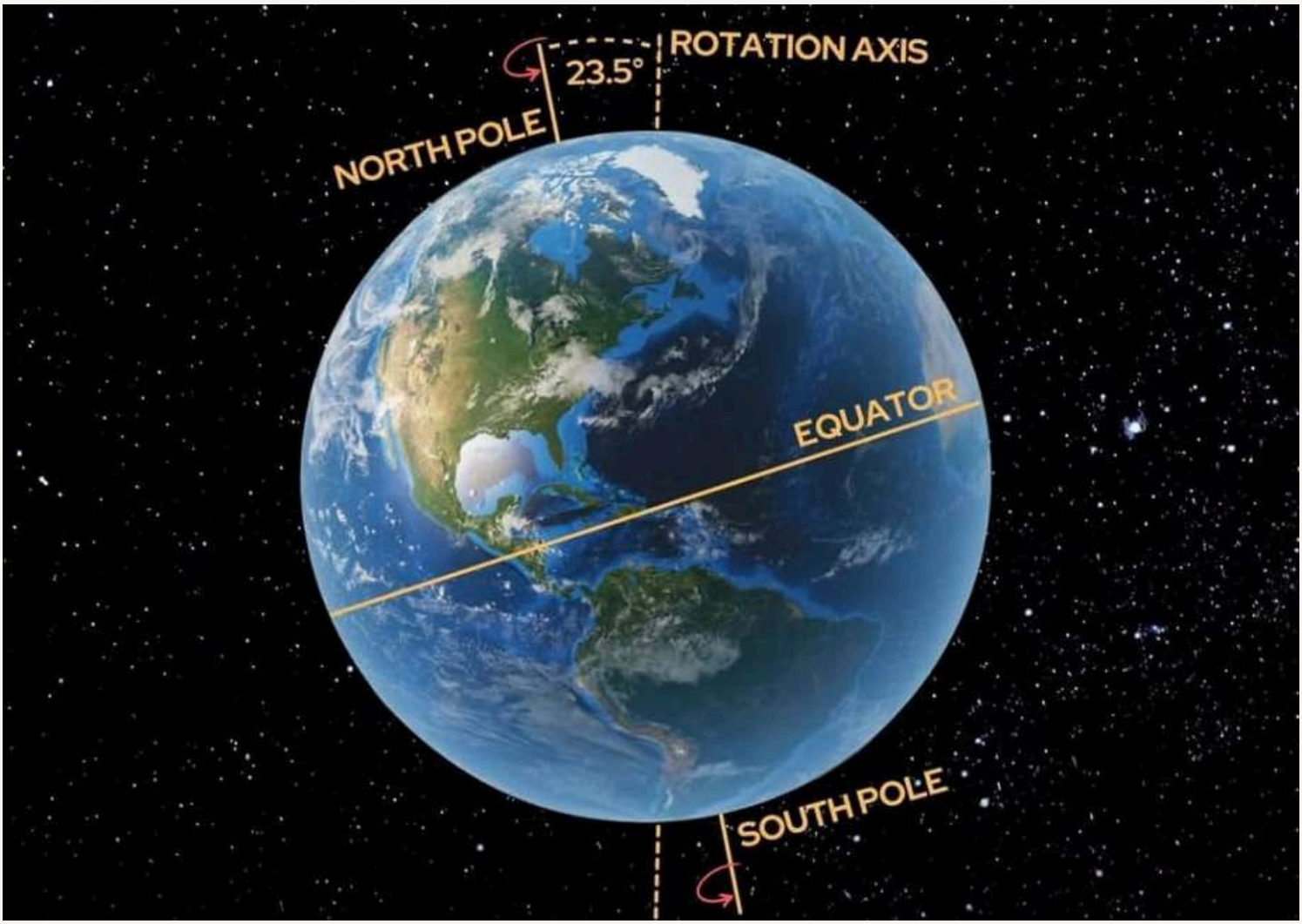

تكشف أبحاث علمية حديثة أنّ نصف الكرة الشمالي بات يمتص قدرًا أكبر بكثير من الطاقة الشمسية مقارنةً بنصف الكرة الجنوبي، وهو تحوّل قد يعيد رسم خرائط الطقس وأنماط المناخ على مستوى العالم.

فمنذ عام 2001، يحتفظ نصف الكرة الشمالي بما يقارب 0.34 واط إضافي من الطاقة الشمسية لكل متر مربّع في كل عقد مقارنةً بالجنوب. ويعود هذا الاتساع المتزايد في فجوة الطاقة إلى مجموعة من التغيّرات البيئية التي بدّلت جذريًا طريقة انعكاس أشعة الشمس عن سطح كوكبنا. إذ يؤدي ذوبان الثلوج والجليد إلى كشف مساحات أوسع من اليابسة والمحيطات الداكنة، التي تمتص الحرارة بدل أن تعكسها إلى الفضاء. وفي الوقت نفسه، أسهم تراجع التلوّث الهوائي في مناطق الشمال في تقليل الجسيمات العالقة العاكسة للضوء، بينما أدّت الزيادة في بخار الماء في الغلاف الجوي إلى حبس مزيد من الحرارة، ما يخلق حلقة تغذية راجعة تُسرّع الاحترار.

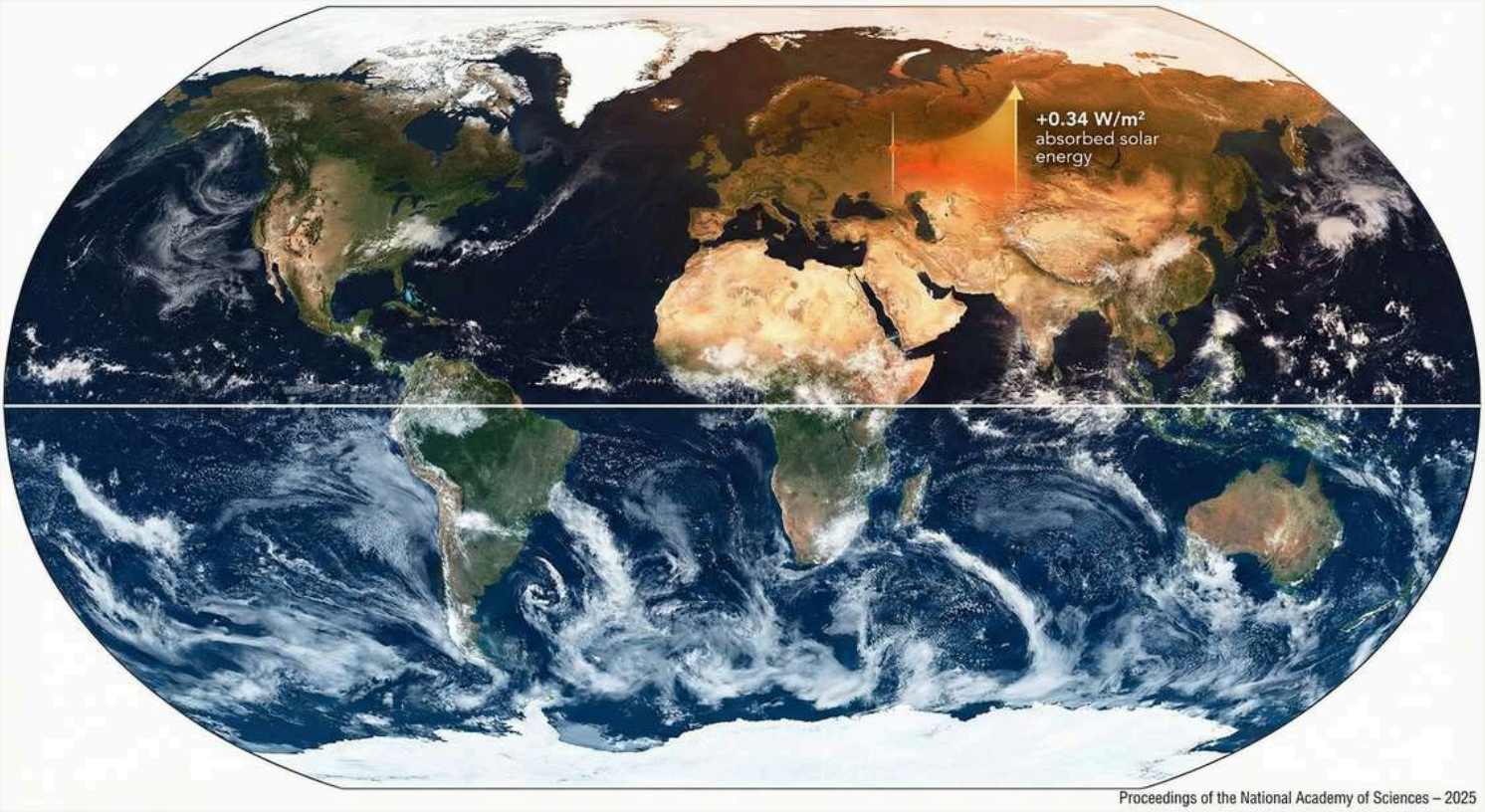

أما الاكتشاف الأكثر إثارة للقلق، فهو أن آليات التبريد الطبيعية للأرض لم تعد تواكب هذا الاختلال.

فقد كان العلماء يتوقّعون أن يزداد الغطاء السحابي ليعادل امتصاص الحرارة الزائد، غير أن البيانات الحديثة تُظهر أن السحب لا تقوم بالدور المنتظر منها في استعادة التوازن. ويضع هذا التناقض نماذج المناخ الحالية موضع تساؤل، ويشير إلى أن قدرة الكوكب على تنظيم طاقته ذاتيًا قد تكون أكثر هشاشة مما كان يُعتقد.

ومع اتساع الفجوة بين نصفي الكرة، قد تتراكم الضغوط المناخية بما يكفي لإحداث تحوّلات كبرى في أنماط هطول الأمطار ومسارات العواصف حول العالم، في مشهد ينذر بمرحلة جديدة من عدم الاستقرار المناخي.

أول كليّة «عالمية» تُنهي انتظار زراعة الأعضاء القاتل

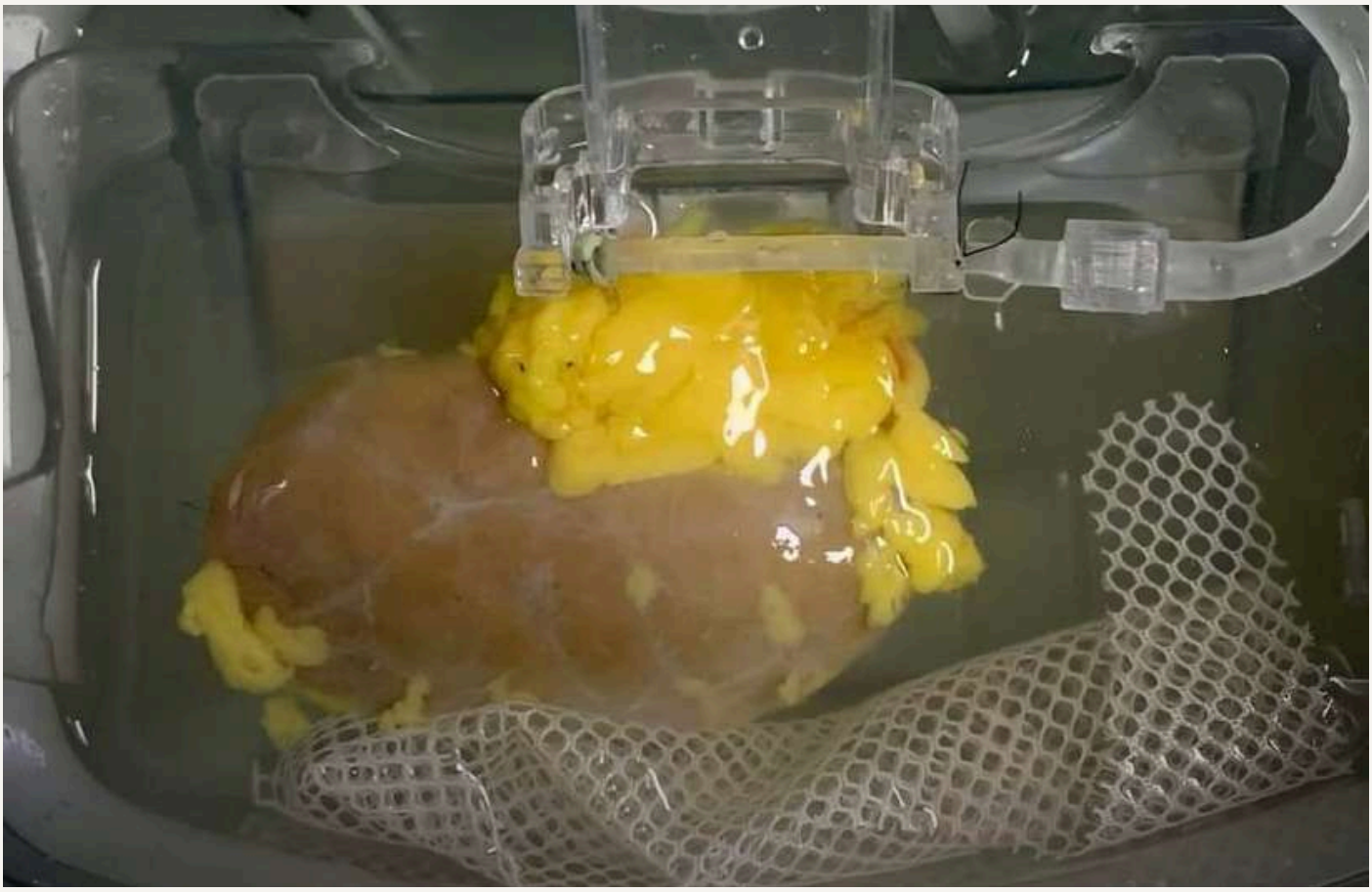

نجح علماء في هندسة أول كلية «عالمية» في العالم، عبر استخدام إنزيمات متخصصة لإزالة علامات فصيلة الدم، في خطوةٍ قد تضع حدًا لسنوات الانتظار المهدِّدة للحياة بحثًا عن متبرعين متوافقين.

وفي تجربة طبية رائدة، استخدم باحثون من كندا والصين إنزيمات دقيقة لنزع مؤشرات فصيلة الدم من كلية متبرّع من الفصيلة (A)، محوّلين إياها فعليًا إلى كلية «عالمية» من الفصيلة (O). وقد زُرعت الكلية المعدّلة في جسد مريض متوفّى دماغيًا، بموافقة عائلته، حيث واصلت أداء وظائفها بنجاح لعدة أيام. ويمثل هذا الإنجاز جسرًا تاريخيًا بين علوم المختبر والممارسة السريرية، إذ يبرهن على إمكانية «تمويه» هوية العضو المزروع لتفادي الرفض المناعي الفوري الناتج عن عدم توافق فصائل الدم.

وتحمل هذه الخطوة دلالات هائلة لأزمة نقص الأعضاء عالميًا. ففي الولايات المتحدة وحدها، يتوفى 11 شخصًا يوميًا وهم على قائمة انتظار زراعة الكلى، بينما يواجه أصحاب فصيلة الدم (O) أطول فترات الانتظار لأنهم لا يستطيعون تلقي الأعضاء إلا من متبرعين من الفصيلة نفسها. ورغم أن الدراسة أشارت إلى عودة ظهور مؤشرات فصيلة الدم بحلول اليوم الثالث، فإن الانخفاض الكبير في الاستجابة المناعية يقدّم خريطة طريق واعدة للمستقبل. ومع إتقان هذه التقنية، قد يصبح بالإمكان الاستغناء عن العلاجات المثبِّطة للمناعة المكلفة وأشهر التحضير الطويلة، وتحويل كل كلية متبرع بها إلى فرصة محتملة لأي مريض على قائمة الانتظار.

السويد تكافئ الغربان مقابل تنظيف أعقاب السجائر!

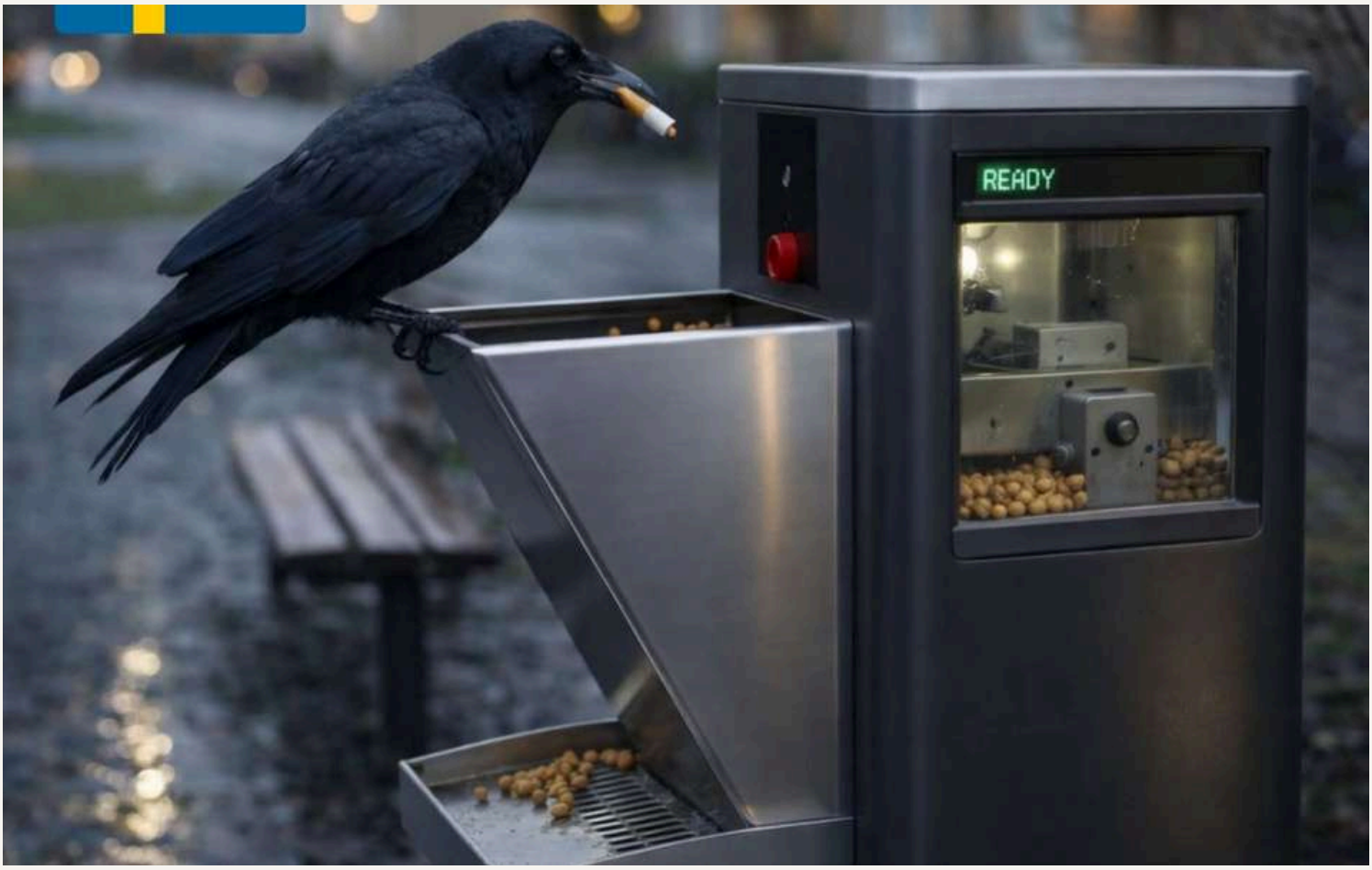

في مدينة سودرتاليا السويدية، تختبر شركة ناشئة تُدعى Corvid Cleaning فكرة ذكية وغير مسبوقة: تدريب الغربان على جمع أعقاب السجائر من الشوارع مقابل الحصول على الطعام.

تقوم الغربان بإلقاء أعقاب السجائر في آلة مخصّصة، لتحصل فورًا على وجبة صغيرة كمكافأة. وبفضل ما تتمتع به هذه الطيور من ذاكرةٍ قوية وقدرات عالية على حلّ المشكلات، تتعلّم الروتين بسرعة: تجمع، تُسقِط، تأكل... وتكرّر.

وتُعدّ أعقاب السجائر من أكثر أنواع النفايات إزعاجًا وتكلفةً في عمليات التنظيف، لذلك تعتقد المدينة أن هذه الطريقة قد تُسهم في خفض تكاليف التنظيف بنسبة تصل إلى 75%، مع الحفاظ على نظافة الأرصفة والحدائق العامة.

وما الذي يجعل هذه المبادرة أكثر تميّزًا؟

أن الطيور لا تُجبر على المشاركة ولا تتعرّض لأي أذى، بل تنخرط فيها بشكل طبيعي، لتتحوّل التجربة إلى شراكة ذكية ومبتكرة بين الطبيعة والإنسان.

هل تعلم؟

السحالي تتخلّى عن أجزاءٍ مِن جسدها هربًا مِن المفترسات

حين تضيقُ مساحات النجاة في البرية، تختار السحالي طريقًا قاسيًا للبقاء، فتستعين بقدرةٍ مذهلة تُعرف بالانفصال الذاتي، تتخلّى فيها عن ذيولها لتُفلِت مِن قبضة الخطر، مجسِّدةً أبلغ صور التكيّف البيولوجي.

ففي عالمٍ تحكمه شريعة البقاء، لا تتحقّق النجاة أحيانًا إلا بتضحيةٍ مدوّية. وقد طوّر كثير من أنواع السحالي آلية دفاعية فريدة تتيح لها فصل ذيولها بإرادتها عند مواجهة تهديدٍ وشيك. وليس ذلك جرحًا عارضًا، بل فعلًا بيولوجيًا محسوبًا، تُيسّره مناطق كسر دقيقة في الفقرات. وما إن ينفصل الذيل حتى يظلّ يتلوّى ويرتجف لبضع دقائق، كأنّه كائنٌ مستقلّ يستدرج المفترس ويستنزف انتباهه، فيما تنسحب السحلية في هدوءٍ خاطفٍ نحو ملاذها الآمن. إنّها خدعة الطبيعة البارعة، حيث يتحوّل الجزء المبتور إلى حارسٍ أخير للحياة.

غير أنّ لهذه النجاة ثمنًا باهظًا؛ فالذيل ليس مجرّد امتدادٍ للجسد، بل مخزنٌ للطاقة والمواد الغذائية. وفقدانه يفرض على السحلية جهدًا مضاعفًا لاستعادة توازنها الحيوي. صحيح أنّ الذيل ينمو مجددًا مع الزمن، غير أنّ البديل غالبًا ما يكون غضروفيًّا، أقلّ طولًا ومرونة من سابقه. ومع ذلك، يظلّ هذا الثمن زهيدًا في ميزان التطوّر، إذ تنتشر هذه القدرة لدى ما يقارب ثلثي عائلات السحالي، شاهدةً على حقيقة راسخة: أحيانًا، يكون التخلي عن جزء من الذات هو السبيل الوحيد للاحتفاظ بالحياة نفسها.

"لبنان وسوريا تخوم الجغرافيا وصدوع السياسة"
لـ ساطع نور الدين عن دار نوفل / هاشيت أنطوان

يمثّل هذا الكتاب افتراقًا صريحًا عن المراجعات التاريخية للعلاقات بين البلدين الشقيقين، فهو يرسم مسارًا جدّيًا للتفكير في ما هو آتٍ من تصدّعات سياسية وأمنية محتَملة تستحضر الموروث الأسدي البعثي، ويقدّم بعض الطروحات لتفاديها. فالكاتب يأمل بتحقّق نموذج سوري مختلف يتعايش مع النموذج اللبناني المتهالك، ويؤسّس لمساءلة مشتركة على الخطايا المتبادلة، وآخرها خطيئة حزب الله السورية، مراهنًا على أنّ حكّام دمشق الجدد لن ينسخوا تجربة حركة طالبان الأفغانية، بل سيبنون تجربتهم الإسلامية الخاصة، ليطرح في هذا السياق السؤال عن شروط المصالحة التاريخية المنشودة بين الدولتين منذ الانفصال – الاستقلال.

"نجونا لنشهد" لـ أمثّنى النجار
عن الدار العربية للعلوم ناشرون

يجمع الكتاب تجربةً شخصيةً وشهادات الناجين وأصوات الصحفيين الذين واجهوا حرب الإبادة الجماعية في غزّة، حيث تحوّل القلم إلى جسرٍ بين الحياة والموت، والكلمة إلى وثيقة مقاومة تحفظ الذاكرة من النسيان. شهاداتُ حياةٍ من قلب الألم تقول للعالم: "لقد نجونا لنشهد".

"البُلبُل الفَريد" لـ منى شريف قيس
عن الدار العربية للعلوم ناشرون

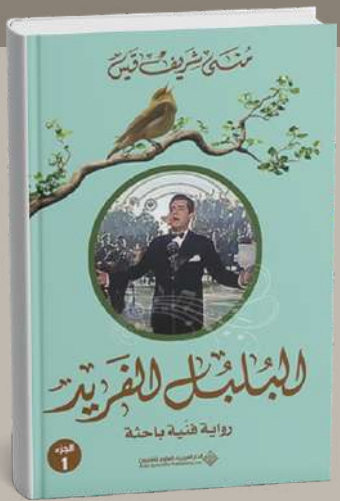

تتناول الرواية موضوع الروح الخلّاقة والموسيقى كعناصر غير مرئية تعيش داخل الإنسان وتُظهر الطابع العالمي لفنّ الأستاذ فريد الأطرش، الذي نال اعترافًا عالميًا من «الأونيسكو» كأول فنان عربي شامل. كما تسلط الضوء على التكريمات التي حصل عليها، مثل «وسام الخلود» من الأكاديمية الفرنسية، إلى جانب عمالقة الموسيقى مثل بيتهوفن وشوبان، مما يعكس عبقريته الموسيقية الخالدة.

يُعتبر "برج السباع" رمزًا للقوة والصمود. في الماضي، كان يُستخدم لمراقبة الأفق وحماية المدينة، واليوم يظل وجهة تاريخية للزوار الذين يستشعرون عبق التاريخ، ما يجسد روح طرابلس الخالدة.

توثق الصورة إطلالة بانورامية لمدينة طرابلس، تتوسطها قلعة "سان جيل" التاريخية كمعلم رئيسي متربع على تلة يحاذيها نهر أبو علي. وتمتد حول القلعة أحياء المدينة القديمة بنسيجها العمراني التقليدي المتراص، لتصل تدريجياً إلى أفق البحر الأبيض المتوسط الذي يبرز الموقع الساحلي والجغرافي للمدينة.

EXPLORE
LEBANON
GEORGES BOU ABDO
BEIRUT 2026
WWW.BEIRUTCULTURE.COM